مركز باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية

التقدير نصف الشهري

تحليل للتطورات السياسية والأمنية في «إسرائيل»

www.bahethcenter.net
Email: baheth@bahethcenter.net
bahethcenter@hotmail.com

باحث للدراسات
الفلسطينية والاستراتيجية

تحليل نصف شهري للتطوّرات السياسية والأمنية في «إسرائيل»

أهداف المركز الرئيسية:

1. إعادة فلسطين إلى موقعها الحقيقي كقضية مركزية للأمة.
2. الترويج للقيم الجهادية والنضالية في إطار استراتيجية تحرير فلسطين.
3. بناء علاقة متينة مع النخب والشخصيات المعنية بالقضية الفلسطينية.
4. إصدار دراسات وأبحاث وتقارير ذات بعد استراتيجي وتحليلي.

إسرائيل ومعضلة الصواريخ الدقيقة

1 – مدخل:

على الرغم من أن إسرائيل تدرك أن خيارات الاعتداء على لبنان دونها ردود فعل قد تتجاوز التناسبية إلى ما يفوقها ويتخطاها، إلا أن خيارات العدوان ثابتة دائماً على طاولة القرار في تل أبيب. وهذا لا يعني فقط وجود حالة توثب إسرائيلية لإمكانية شن العدوان بل يؤشّر أيضاً إلى فاعلية وثبات، ما يحول دون تنفيذ الاعتداء نفسه.

الحديث هنا يتعلق بالوسائل القتالية التدميرية الدقيقة، التي تتقدم اللائحة فيها قدرات صاروخية، لا ينكر الاحتلال – على مضض – أنها باتت لدى حزب الله، وأن ما يحول دون استخدامها، هو القرار السياسي لقيادة المقاومة المتموضعة دفاعياً على أرضها في وجه العدوان ونوايا العدوان.

لقد تحدثت وسائل إعلام إسرائيلية مرارا وتكرارا عن قدرات حزب الله الصاروخية، وحذرت الإسرائيليين مما ينتظرهم في المواجهة المقبلة، وذكرت أن حزب الله يمكنه تدمير الكنيست بصواريخ دقيقة وبسهولة. فقد أكدت قناة "كان" الإسرائيلية أن الإسرائيليين لا يدركون حقاً ما ينتظرهم في المواجهة المقبلة، وزعمت القناة في شريط وثائقي بثته، امتلاك الحزب مشروع صواريخ بدقة 10 أمتار، وقالت إن هذا المشروع يعد تهديداً استراتيجياً لا يمكن لـ "إسرائيل" التعايش معه. والقناة عرضت الوثائقي بعد النشرة الرئيسة المسائية في برنامجها الوثائقي الأسبوعي "زمن الحقيقة"، وعنوان الحلقة كان "صواريخ حزب الله هي خطر واضح ودقيق". التحقيق اعتبر أن مهندس الصواريخ الدقيقة هو الشهيد قاسم سليماني، وأن منفذ المشروع هو أمين عام حزب الله سماحة السيد حسن نصر الله، ويشير التحقيق إلى أن المشروع هو جزء من نظرة إيران وحزب الله في هذه المرحلة للمنطقة، وغايته الوصول إلى ضرب أي هدف في "إسرائيل" بدقة 10 أمتار، واعتبر الوثائقي أن هذا يعتبر تهديدا استراتيجيا لا يمكن لـ "إسرائيل" أن تتعايش معه.

التقرير تناول بداية النقاش داخل الاستخبارات العسكرية عام 2013، وانطلاق المعركة بين الحروب التي كانت غايتها إعاقة ومنع انتقال سلاح استراتيجي من سوريا إلى لبنان تحت سقف عدم الوصول إلى حرب،

وقال أحد الخبراء إن الكنيست يمكن تدميره بسهولة بواسطة صواريخ دقيقة. والمعلق العسكري في صحيفة يديعوت أحرونوت الإسرائيلية يوسي يهوشع قال إن المجتمع الإسرائيلي لا يدرك حقاً ما ينتظره في المواجهة المقبلة. ورئيس الوزراء الإسرائيلي الاسبق ايهود باراك تحدث في الوثائقي عن أهداف مثل مقر أهم الدوائر الحكومية "هاكريا"، وأماكن حساسة في قواعد سلاح الجو ومحطات الطاقة وغيرها، وقال إن "إسرائيل" لا يمكن أن تسمح باستهداف جبهتها الداخلية، وإذا حصل ذلك سيتم استهداف البنية التحتية اللبنانية. وتناول التقرير المراحل التي مرت بها المعركة بين الحروب، وتوسعها على مدى السنوات الماضية، لكن "إسرائيل" تصر على أنها ستواجه هذا التهديد، بينما اعترف رئيس الدفاع الجوي السابق أن لدى حزب الله حالياً منظومة صواريخ لم تكن لديه في العام 2006. وثمة إجماع على أن واحدة من أهم المعضلات التي تواجه المؤسسة العسكرية في إسرائيل حالياً، تتعلق بتعذر احراز انتصار واضح في الحروب المقبلة. وهي معضلة واكبت كل رؤساء أركان الجيش الإسرائيلي منذ الفشل في الحرب على حزب الله عام 2006، وصولاً إلى الوافد الجديد لرئاسة الأركان الحالي، أفيف كوخافي. وكوخافي هو رئيس الأركان الرابع ما بعد الحرب، الذي أعاد أيضاً مثل سابقيه في المنصب، البحث في معطى الانتصار وطرق تحققه وأساليبه، في إشارة واضحة إلى تعذر تجاوز هذه المعضلة، التي تعد واحدة من أهم نتائج «الدروس والعِبَر» لتلك الحرب اي: محدودية القدرة العسكرية على تحقيق الانتصار في مواجهة كيانات غير دولتية، مهما كان الميزان العسكري وأرجحياته المادية.

هذه الحقيقة لا ينكرها الاحتلال، ولا يخفي إنكاره لها، وقيل وكُتب الكثير بشأنها، ولا يخلو بحث أو دراسة عبرية، من الإشارة إليها لكونها باتت ثابتة من ثوابت المعادلة القائمة. وإذا كانت هذه معضلة السنوات القليلة التي أعقبت الحرب، إلا أنها تصغر أمام معضلات ما بعدها. وهو الأمر الذي دفع المؤسسة العسكرية الإسرائيلية إلى الابتعاد عن مفردة "الانتصار" باتجاه تطويع معناها القائم على هزيمة العدو باستسلامه أو سحقه، إلى معنى جديد: الانتصار هو تحقيق الهدف العسكري من الحرب، بصرف النظر عن النتيجة الكلية للحرب نفسها وترتيباتها السياسية. وبذلك ترحّل المؤسسة العسكرية مسبقاً فشل الحرب المقبلة إلى المؤسسة السياسية، وتبعد نفسها عن المساءلة. مع ذلك، كان بإمكان الاحتلال إبعاد نفسه عن اختبار الحرب وفشلها وتراشق المسؤولية عن هذا الفشل، الذي بدأ قبل أن تبدأ الحرب، عبر الامتناع عن المبادرة إليها، كما الامتناع

عمّا يسببها، وهو ما يفسّر امتناع إسرائيل عن الاعتداء على لبنان حتى الآن، لكون هذا الاعتداء يحمل إمكانات التسبب بالحرب، مع التزام حزب الله الردّ التناسبي أو ما يتجاوزه.

لكن ما يثقل على الاحتلال، أنه بعد 15 عاماً على الحرب، لم تتنام القدرة العسكرية لحزب الله كمّياً وحسب، بل تطورت نوعياً، بما يشمل امتلاك قدرات تدميرية دقيقة الإصابة، مع هامش خطأ لا يذكر، يضاف إليه أن الصواريخ الدقيقة الموجودة بحوزة المقاومة تتجاوز قدرة الاحتلال على اعتراضها، مهما كان تطور «طبقات الاعتراض» الصاروخي المقابل. واستناداً إلى هذا العامل تحديداً، الذي ورد الإقرار به في الإعلام العبري أخيراً، بات على إسرائيل أن تدرس خياراتها جيداً قبل أن تقدم على الاعتداء على الساحة اللبنانية، ليس على خلفية أن المبادرة للاعتداء قد تسبب الحرب وحسب، بل بإمكان أن يؤدي الاعتداء إلى «أيام قتالية محدودة»، أو مجرد تراشق للفعل ورد الفعل. خاصة أن المقاومة ملتزمة بالرد التناسبي على أيّ اعتداء، وبما يتجاوزه تناسبياً أيضاً، بما يمكّن الرد من تحقيق دوره كاملاً في منع الاعتداء نفسه مسبقاً أو ما يليه لاحقاً، وليس فقط ما يرتبط بـ«ردود علاقات عامة» تتعلق بالصورة الاعتبارية للمقاومة، التي كان يمكن الاحتلال أن يراهن عليها، كي يتملص من أثمان اعتداءاته. والقدرة التدميرية الدقيقة لدى حزب الله، المتملصة من المنظومات الاعتراضية الإسرائيلية، من شأنها أن تؤمن لقيادة المقاومة مروحة ردود ربما كانت متعذرة في ما مضى، تمكّنها من تحقيق مطلبين اثنين متلازمين: تدفيع الاحتلال ثمن اعتدائه أولاً، ومنعه من تكراره ثانياً.

على هذه الخلفية، بات التهديد الإسرائيلي باستهداف لبنان بمدنييه وبنيته التحتية، وأيضاً استهداف مراكز الثقل العسكرية والمدنية للمقاومة، يقابله تهديد حزب الله لمدنيي إسرائيل وبنيتها التحتية ومراكز الثقل العسكري والمدني فيها، وإن كان التهديد الثاني (حزب الله) مبني على التموضع الدفاعي الردي مقابل التموضع الهجومي الابتدائي للعدو، وهو أهم ما في المعادلة بين الجانبين.

بالطبع، لا أحد يدعي هنا تواضع قدرة العدو على الإيذاء، إذ لديه قدرة تدميرية هائلة، وخاصة ما يتعلق بالنيران عن بُعد، عبر استخدام سلاح الجو، لكن مهما بلغت قدرة التدمير لديه، فالمعادلة تبنى من ناحيته على القدرة التدميرية الموجودة لدى حزب الله، التي باتت متوفرة بعناصرها الثلاثة: الوجود المادي للقدرة التدميرية ووسائل إيصالها؛ والقدرة على الإصابة الدقيقة والتملص من المنظومات الاعتراضية؛ والأهم هو القرار السياسي المتخذ إزاء استخدامها رداً على العدوان.

من هنا يمكن فهم الاندفاعة الإسرائيلية المجبولة بالصراخ المدوي الذي وصل إلى منبر الأمم المتحدة، في محاولة للحؤول دون امتلاك حزب الله للقدرات الصاروخية الدقيقة. لكن السؤال ليس عن الصراخ ومحله وإمكاناته الفعلية، بل هو بشأن امتناع إسرائيل عن استخدام القوة العسكرية للحؤول دون «مشروع الدقة» (المشروع الذي أدى، ويؤدي، إلى حيازة المقاومة لترسانة فاعلة من الصواريخ الدقيقة). فهل هي الخشية من التبعات، أم أن «الدقة» سبقت قدرة العدو على المنع، أم الاثنان معاً؟ في كل الفرضيات، «الدقة» وصلت وتموضعت في مكان متقدم في المعادلة القائمة مع العدو.

في الحرب العسكرية الشاملة المباشرة عام 2006 فشلت إسرائيل – في حد أدنى – وانتصر حزب الله نتيجة إفشاله لها. وبعد 14 عاماً على ذلك، تبينت نتيجة واحدة من أهم حروب إسرائيل على حزب الله، وهي الهزيمة في الحرب على «مشروع الدقة»، الأمر الذي سيترك تبعات سيئة على تل أبيب وقراراتها السياسية والعسكرية تجاه لبنان وعلى المعادلات البينية مع المقاومة، وتحديداً في رفع قدرة الردع اللبناني ومستواه ومنع الكيان من المبادرة العملية للاعتداء على لبنان.

2 – أحجية نقل الصواريخ:

كشفت مصادر عسكرية إسرائيلية عن أن إيران بدأت محاولات نقل الصواريخ الدقيقة الجاهزة للاستخدام إلى المقاومة الاسلامية في لبنان، بين عامي 2013 و2015. لكن بين عامي 2016 و2018 واجهت إيران وقوى المقاومة الاسلامية، صعوبات في تطبيق خطة تحويل الصواريخ إلى صواريخ دقيقة. ولذا سعت إيران وقوى المقاومة إلى تسريع مشروع الصواريخ الدقيقة من خلال محاولة إنشاء مواقع إنتاج وتطوير في الأراضي اللبنانية في مناطق عدة. وذكرت تقارير أن معظم الصواريخ الموجودة في ترسانة حزب الله، تعتمد في الأساس على أسلحة غير دقيقة للأبعاد المختلفة، لكن قادة في الحرس الثوري الإيراني قادوا مشروع الصواريخ الدقيقة وعملية نقلها إلى حزب الله في لبنان. وخطورة هذه الصواريخ تكمن في دقة إصابتها للأهداف، إذ سيكون من الصعب على منظومة القبة الحديدة الصاروخية الإسرائيلية اعتراضها، وبالتالي يمكن بواسطتها استهداف أماكن حساسة داخل الكيان، مثل مفاعل ديمونة النووي، أو معامل كيماوية في حيفا، مما يضع الكيان والمنطقة برمتها في خطر.

3 – حملة دبلوماسية:

مررت إسرائيل رسائل واضحة إلى الولايات المتحدة وفرنسا ودول أُخرى أكدت فيها ضرورة إزالة تهديد الصواريخ الدقيقة من لبنان وإبعاد قوات المقاومة الاسلامية من مراكز القوة التي تتحكم في مصائر بلاد الأرز. وأعلنت وزارة الخارجية الإسرائيلية أنها تجري اتصالات في هذا الشأن مع الجهات ذات الصلة، وقامت بإحاطة السفراء الإسرائيليين في شتى أنحاء العالم بفحوى هذه المبادرة السياسية الجديدة. وقال مسؤول كبير في وزارة خارجية العدو إن الوزارة أجرت محادثات سرية مع عواصم متعددة أوضحت خلالها أن أي مساعدات تهدف إلى ضمان استقرار لبنان يجب أن تكون مشروطة بأن يتعامل لبنان سلباً مع صواريخ حزب الله الدقيقة الموجهة. وأكد أن أي شيء أقل من ذلك سيكون مشكلة من ناحية إسرائيل. وأضاف أن وزارة الخارجية أوعزت إلى الدبلوماسيين الإسرائيليين في جميع البلاد ذات الصلة، بما في ذلك الولايات المتحدة والدول الأوروبية، بالتشديد على الحاجة إلى وقف تقديم المساعدات إلى لبنان طالما أن حزب الله المدعوم من إيران لا يتوقف عن تطوير قدراته العسكرية التي يمكن أن تستهدف إسرائيل.

الجدير بالذكر أن الجيش الإسرائيلي كشف النقاب قبل نحو بضعة أشهر عن أجزاء واسعة من برنامج الصواريخ الدقيقة المشترك لإيران وحزب الله، والذي يهدف إلى تزويد هذا الحزب بترسانة كبيرة من مئات الصواريخ الدقيقة التي يمكن أن تصيب أهدافها في محيط 10 أمتار. ووفقاً للجيش حاولت إيران في البداية أن تنقل إلى حزب الله صواريخ جاهزة لكن بسبب عمليات الإحباط الإسرائيلية غيرت خطة عملها وبدأت بمحاولة إقامة مصانع إنتاج في الأراضي اللبنانية. وعلى الرغم من جهود إيران الكبيرة على هذا الصعيد فإن عدد الصواريخ الدقيقة التي بحيازة حزب الله لا يتعدى العشرات. ويعود سبب ذلك إلى عملية تدمير أحد المركبات الحيوية لإنتاج هذه الصواريخ، والتي نُسبت إلى إسرائيل. وتحمّل إسرائيل الحكومة اللبنانية مسؤولية هذا النشاط وذلك على الرغم من أن التقديرات السائدة تشير إلى أن جزءاً من المعلومات التي تم الكشف عنها في هذا الشأن لم تكن تعرفها هذه الحكومة. ومع ذلك اختارت الحكومة اللبنانية أن تتجاهل معلومات نُقلت إليها في الماضي، بما في ذلك تفصيلات جرى تمريرها عبر خطاب رئيس الحكومة بنيامين نتنياهو أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة.

4– باريس على خط المناورة الاسرائيلية:

عبر الجانب الفرنسي، وجّه رئيس أركان جيش العدو الجنرال افيف كوخافي تهديدات إلى لبنان، بأن اسرائيل ستستهدف البنية التحتية المدنية اللبنانية، في حال نشوب الحرب مع حزب الله. وهذا التهديد المشروط ليس جديداً، وهو غير دالّ على «توثّب» إسرائيلي، وإن رافقته حملة عبر الإعلام العبري، تحذّر من تطوّر «مشروع الصواريخ الدقيقة لدى حزب الله، التي باتت أكثر فتكاً وتملّصاً من الدفاعات الإسرائيلية».

مناسبة «إطلاق ونقل» التهديد عبر الجانب الفرنسي، أتت في سياق جولة قام بها رئيس أركان جيش العدو، أفيف كوخافي، إلى عدة عواصم أوروبية وازنة، تهدف إلى تحريض الجانب الأوروبي ضد إيران والدفع باتجاه تشديد مواقف دوله إلى مستويات أكثر تطرفاً، في مواجهة إمكان العودة إلى الاتفاق النووي مع طهران.

الزيارة التي أريدَ لها أن تحظى بتغطية إعلامية واهتمام سياسي لافتين، رفعت تل أبيب مستواها في الشكل، من خلال اصطحاب الرئيس الإسرائيلي رؤوفين ريفلين لكوخافي. فرغم المسؤوليات الفخرية للرئيس، إلا أنّ وجوده يتسبب من ناحية بروتوكولية باهتمام سياسي وتغطية إعلامية أوسع وأكثر تأثيراً، وإن باتجاه الرأي العام، قياساً بزيارة تقتصر على الجانب العسكري المهني، الذي يمثّله رئيس أركان الجيش الإسرائيلي.

هي إذاً زيارة مرتبطة بالملف النووي الإيراني أولاً، لكنها أيضاً مرتبطة بالساحة اللبنانية، لِذاتها وللتهديد المتشكّل فيها، في ما يتعلق بالموقف والقدرة الدفاعيين للبنان، إنّما بما لا يمكن فصله أيضاً عن الإقليم.

التطرق إلى تهديد حزب الله، إسرائيلياً، لا ينفصل بطبيعته عن محور أوسع ينتمي إليه، وخاصة أن التهديد الذي يشكّله الحزب، سلك طريقه إلى التعاظم في لبنان بما لا يقاس مع ما كان لديه من قدرات في السابق، ما يفرض نفسه على جدول أعمال زيارة هذا الوفد وغيره، ضمن جملة خيارات تَعمَد إليها للمواجهة. وهذا البعد يتّخذ أهمية خاصة راهناً، كون فرنسا مطلّة أكثر على لبنان، وتتشعب علاقاتها فيه، وتحديداً في هذه المرحلة، حيث اهتمام باريس عالٍ جداً تجاهه، إنْ بالأصالة عن نفسها أو بالوكالة عن الآخرين.

المقصود هو تقاطع جملة عوامل، تفرض على «إسرائيل» تضمين تهديد حزب الله، وبشكل أكثر تحديداً قدراته الصاروخية الدقيقة، في سلّة مطالب تؤكد ضرورتها وإلحاحها كي تكون جزءاً لا يتجزأ مما تريد من الأوروبيين

ـ كما من الأميركيين ـ تحقيقه مع الجانب الإيراني، عبر التسوية التي يسعون إليها مع طهران. وهذا ما يرى الإسرائيليون وجوب إثارته مع الغرب، بصرف النظر عن فرص وإمكانات تحقّقه بالفعل.

في تقرير مواكب للزيارة، ذكرت صحيفة «هآرتس» أن «إسرائيل» لا تربط بين مطلب العمل ضد صواريخ حزب الله الدقيقة وبين الاتفاق النووي الإيراني. لكن في المقابل، تنوّه الصحيفة بوجود واقع مغاير، إذ «من المتوقع أن تستأنف الولايات المتحدة في المستقبل القريب المفاوضات مع إيران بشأن عودة الولايات المتحدة إلى الاتفاق النووي. وفي إسرائيل والغرب، دار نقاش حول ما إذا كان من المفيد في إطار الاتفاقية الجديدة محاولة إجبار الإيرانيين على تقديم تنازلات بشأن المسألتين معاً».

إشارة «هآرتس»، التي قالت إنها مبنية على تقديرات وتوجهات استخبارية في «إسرائيل»، تُظهر حجم التهديد وتأثيره في قرارات تل أبيب وتوجهاتها، ومدى فاعليته في ردعها عن مروحة واسعة من نقل نياتها العدائية الى حيز التنفيذ، وهو الذي يتأكد أكثر يوماً بعد يوم، وتحديداً في لبنان.

وبالنسبة للزيارة بالذات ، يشار إلى أن وجود رئيس الدولة ريفلين على رأس الوفد الإسرائيلي، مكّن رئيس الوفد الإسرائيلي الفعلي كوخافي، من الاتصال المباشر بالرئيس الفرنسي، إيمانويل ماكرون، ومكّنه من «عرض حال» الوضع العسكري وتطوراته كما تراه تل أبيب، مع الجانب اللبناني. والنقطة الرئيسة في هذا الجانب تحديداً، هي التطور الهائل الذي أدخل في المرحلة الأخيرة على القدرة العسكرية لحزب الله في لبنان، رغم كل الجهود الإسرائيلية التي فشلت في صدّه، وهو تعاظم القدرة الصاروخية «الفائقة الدقة» لدى حزب الله، كما ورد أخيراً على لسان رئيس حكومة العدو، بنيامين نتنياهو.

وكما ذُكر، فان للمحطة الفرنسية أهمية خاصة لدى تل أبيب ضمن الجولة على العواصم الأوروبية، إذ يتقاسم أهدافها ما هو أكثر إلحاحاً في هذه المرحلة من ناحية «إسرائيل» وإن مع الفارق: النووي الإيراني والقدرة الصاروخية الدقيقة لدى حزب الله، التي انتقلت من مجرد تلقّي القدرة، إلى تطوير ذاتي وتصنيع محلي (بحسب ما يقول العدوّ)، يستعصي على القدرات الإسرائيلية الذاتية مواجهتها وصدّها من دون سلوك خيارات متطرّفة لا تريدها تل أبيب. لكن هل ترجو «إسرائيل» من الجانب الفرنسي ما عجزت هي عن تحقيقه عبر خياراتها العسكرية والأمنية وغيرها؟ إنْ كان الجواب لا، وهو كذلك، إلا أن أصل التحريض باتجاه تشديد الموقف الفرنسي من حزب الله، وفي حد أدنى تشديد موقف باريس في المنتديات الدولية والأوروبية، يدفع «إسرائيل»

إلى مواصلة «عرض حال» وضعها مع الجانب الفرنسي، والعمل من أجل انحيازه، وإنْ تكتيكياً، إلى جانبها في مواجهة الساحة اللبنانية.

من هنا، يمكن تفسير المواقف الصادرة عن الوفد الإسرائيلي، سواء على لسان رئيسه الفخري ريفلين، أو الفعلي كوخافي، إضافة إلى جملة استعراضات دعائية مكررة عن حزب الله ونياته وخطورة وجوده وتهديدات تعاظمه العسكري.

ريفلين وكوخافي التقيا بتاريخ 2021/3/18 الرئيس الفرنسي فور وصولهما إلى باريس مع الوفد المرافق، وعرضا عليه، وفقاً للإعلام العبري «قضية لبنان والمطالبة الإسرائيلية بتنفيذ تفويض اليونيفيل والقرار 1701». وتخلل اللقاء أيضاً، وفقاً للإعلام العبري، عرض خرائط تظهر أهدافاً ينوي الجيش الإسرائيلي ضربها في المواجهة المقبلة مع الجانب اللبناني، إنْ نشبت المواجهة فعلاً، مع تحذير سمعه ماكرون كرسالة تهديد مؤمل منه أن ينقلها الى لبنان بأن «البنية التحتية المدنية ستستهدف هناك». إلا أن كوخافي لم يكتف بنقل رسالة التهديد عبر الفرنسيين، بل حرص كذلك على نقلها ونشرها عبر وسائل الإعلام. والسبب واضح جداً، إذ إن للإعلان عن مضمون التهديد دوراً وظيفياً في ذاته، يخدم طمأنة الداخل الإسرائيلي. وقال كوخافي إن حزب الله يمتلك آلاف الصواريخ المخزنة في أماكن مدنية، وهي تهدف الى إيذاء المدنيين. وقال إن لدى الجيش الإسرائيلي آلاف الأهداف التي لن يتردّد في ضربها عند ساعة الاختبار، وهي أهداف تزداد كل أسبوع. وكما هو واضح، أقرّ كوخافي بفشل صدّ تعاظم حزب الله العسكري، وإنْ كانت الإرادة لديه متّجهة نحو التهديد واستعراض القوة، لا الإقرار بالتعاظم الكمّي للمقاومة، أسبوعياً فحسب.

5 – هاجس الصواريخ وذريعة الحرب:

في الوقت الذي يُقلق هاجس صواريخ حزب الله الدقيقة، إسرائيل، يهدّد وزير الخارجية والإستخبارات الإسرائيلي يسرائيل كاتس، بـ«معاودة مهاجمة لبنان مجدداً»، وقال لـ«إذاعة الجيش الإسرائيلي» متوعّداً: «إذا هاجم حزب الله إسرائيل من لبنان، سنهاجم أهدافاً مزدوجة، أي شيء يمكن أن يخدم حزب الله والسكان المدنيين اللبنانيين». وأعلن الجيش الإسرائيلي في الوقت نفسه اكتشافه منشأة في جنوب لبنان يستخدمها حزب الله لتحويل وتصنيع صواريخ موجهة وعالية الدقة. وأشار بيان الجيش الإسرائيلي، إلى وجود صور للأقمار

الصناعية، أظهرت وجود مصنع معدّ وجاهز لعملية الإنتاج، وأنّ المبنى ينقسم إلى أقسام لإنتاج المحركات، وضمان الجودة، وتصنيع المتفجرات للرؤوس الحربية، واللوجستيات. وأضاف البيان أنّ «هذه المنشأة ذات أهمية كبرى لمشروع الصواريخ الدقيقة الخاص بحزب الله، وهو ما دفع به، خشية تعرضه لهجمات، بحسب زعم البيان، إلى إخلاء المعدات الثمينة والفريدة من المبنى إلى مواقع مدنية في بيروت». وفي إحاطة للصحافيين، قال مسؤول إسرائيلي كبير، إنه أعطى توجيهاته للجيش، قبل حوالى خمسة أشهر، بإعطاء الأوّلية لإحباط مشروع مشترك لحزب الله وإيران، لتصنيع صواريخ عالية الدقة موجهة في لبنان؛ إذ أصبح المشروع ذا أهمية قصوى بالنسبة لأجهزة الأمن الإسرائيلية، وتجاوز مسألة ترسخ الوجود الإيراني في سوريا، وأصبح ثاني أهم القضايا بعد برنامج إيران النووي. وأوضح المسؤول الإسرائيلي: «لقد غيّرنا ترتيب التهديدات، بالإستناد إلى إدراكنا، أنه لا يمكننا السماح بوجود صواريخ عالية الدقة، موجّهة إلينا في لبنان». جازماً «أنّ الجمهورية الإسلامية في إيران، بدأت تجد صعوبة في سعيها لوضع موطئ قدم لها في سوريا، وتعمل منذ ذلك الحين على فعل ذلك في العراق واليمن ودول أخرى مجاورة»، زاعماً، أنّ «المنشأة أقيمت في السنوات الأخيرة كموقع لإنتاج الوسائل القتالية بقيادة إيران وحزب الله، حيث تمّ أخيراً رصد عمليات إضافية، تهدف لاستخدامها كموقع لإنتاج وتحويل الصواريخ إلى صواريخ دقيقة». وفي السياق قال الجيش الاسرائيلي إنّ حزب الله مهتم بهذا الموقع نظراً لما ينتجه من صواريخ دقيقة، لذلك عمد عناصره إلى إخلاء معدات خاصة وغالية الثمن خوفاً من استهدافه، مدّعياً نقل هذه المعدات إلى مناطق مدنية في لبنان، وأخرى في العاصمة بيروت. ويُعتقد حالياً أنّ حزب الله يمتلك أكثر من 150 ألف صاروخ، ولكن يمكن توجيه عدد صغير منها فقط الى مواقع محددة. وتخشى إسرائيل من أن يكون الحزب في حرب مستقبلية قادراً على استخدام وابل من الصواريخ عالية الدقة لمهاجمة منشآت حساسة والتغلب على دفاعاتها الجوية. ووسط وفرة المعلومات، والتضليل الإعلامي، ونشر المعلومات الكاذبة، يعيش الإسرائيليون تحت تأثير تهديدات حزب الله التي تتحوّل إلى كوابيس في إسرائيل، وفي أي حرب مستقبلية، سيستفيد الحزب من تأثير تهديداته، عبر بنك من الأهداف، تتمثّل بالتوغّل في الجليل، أو إمطار إسرائيل بالصواريخ الدقيقة، او استهداف حاويات الأمونيا في حيفا، أو مفاعل ديمونا في النقب، وأنّ هذه البروباغندا ستُساعد حزب الله أكثر من الصواريخ، وفق رأي المحلّل السياسي في صحيفة «هآرتس» الإسرائيلية دايفيد دايفيد، علماً، أنّه قد يستخدم صواريخ «كاتيوشا» قصيرة المدى، خلال استهدافه

شمال اسرائيل. وأشار دايفيد، إلى أنّ حزب الله يمتلك كميات كافية من الصواريخ التي يمكنها تخطّي منظومة القبة الحديدية. ومن المتوقع أن يُطلق الحزب 1500 صاروخ «كاتيوشا» يومياً خلال الحرب المقبلة، فيما يتراوح معدّل اعتراض القبة الحديدية للصواريخ بين 86 و92 في المئة، وبذلك يصل ما يقارب الـ120 إلى 210 صواريخ إلى شمال إسرائيل يومياً، الأمر الذي سيعيد الفوضى التي عمّت إبان حرب تموز 2006.

من ناحية أخرى أكدت وسائل الإعلام الإسرائيلية الرسمية، أنّ تحقيقاً داخلياً أجراه الجيش كشف مخالفة عسكريين لأوامر الجيش في التصعيد الحدودي الأخير مع حزب الله اللبناني. وأفاد موقع هيئة البث الإسرائيلي «كان» بأنّ التحقيق الداخلي أكد أنّ مرور العربة العسكرية التي استهدفها حزب الله بصاروخين من نوع «كورنيت» على طريق أفيفيم – يرؤون قرب الحدود مع لبنان كان مخالفاً لأوامر الجيش. ونقل الموقع عن مصادر عسكرية قولها، إنه "سيتم في الأيام القريبة استخلاص العبر من هذا الحادث". وقال المتحدث باسم الجيش الإسرائيلي، أفيخاي أدرعي، يوم، الخميس 29 آب العام الماضي، إن "مشروع الصواريخ الدقيقة يدار من قبل إيران وحزب الله بسرية تامة من دون علم الحكومة اللبنانية، والمواقع اللبنانية أصبحت غطاءً لهذه المواقع التي يحاول من خلالها الحزب إنتاج وتحويل الصواريخ إلى دقيقة حتى في بيروت". ولم يرد حزب الله أو إيران على التفاصيل التي نشرها المتحدث باسم الجيش الإسرائيلي. وجاء ذلك بعد أيام من التوتر، الذي خلفه اتهام حزب الله إسرائيل بهجوم "انتحاري" مسير، وخرق قواعد الاشتباك التي تأسست بعد حرب تموز عام 2006، حسبما قال أمين عام الحزب سماحة السيد حسن نصر الله، في خطاب متلفز نقلته قناة "المنار. وقال أدرعي إنه وفي ظل الحرب في سوريا بدأت إيران بمحاولات لنقل صواريخ دقيقة جاهزة للاستخدام لحزب الله في لبنان عبر الأراضي السورية بين سنوات 2013 و2015، مضيفًا أن معظم هذه المحاولات أحبطت في ضربات "تم إسنادها إلى الجيش الإسرائيلي"، ولم يتمكن "الحزب" من الحصول على هذه الصواريخ. وبعد هذه الضربات قررت إيران عدم نقل الصواريخ والانتقال إلى تحويل صواريخ قائمة إلى صواريخ دقيقة على الأراضي اللبنانية، بحسب أدرعي، من خلال نقل مواد تدقيق من إيران بالإضافة إلى صواريخ من معهد الأبحاث العلمية في سوريا. وللغرض نفسه بدأ حزب الله بتأهيل مواقع داخل لبنان بالتعاون مع جهات إيرانية، على رأسها محمد حسين زادة حجازي، قائد "فيلق لبنان" في "فيلق القدس"، بقيادة (الشهيد) قاسم سليماني، وفق بيان المتحدث باسم الجيش الإسرائيلي. ووفق أدرعي، فإن المواد تنقل من خلال ثلاث محاور أولها المحور

البري من سوريا إلى لبنان عبر المعابر الرسمية، والمحور الجوي عبر رحلات مدنية والمحور البحري من خلال مرفأ بيروت. وقال أدرعي إن الصواريخ الدقيقة تعتبر صواريخ تحمل أجهزة توجيه يمكن من خلالها توجيه وإصابة الأهداف عن بعد أمتار معدودة. ونشر أدرعي عدة أسماء قال إنها "متورطة" في المشروع وهم مجيد نواب المسؤول التكنولوجي للمشروع، وعلي أصغر نوروزي رئيس الهيئة اللوجستية في الحرس الثوري الإيراني، وفؤاد شكر أحد قادة حزب الله.

6 – مخاطر وفرص:

نشر "معهد القدس"، وهو معهد إستراتيجي إسرائيلي، تقديراته لما أسماها "المخاطر والفرص" التي تواجه الكيان الإسرائيلي لسنة 2020، ويضع في صلبها "إحباط الجهد الإيراني لتطوير السلاح الباليستي لدى حزب الله وتحويله إلى سلاح دقيق. وذلك بموازاة استمرار التعهد الإسرائيلي بمنع حصول إيران على قدرة إنتاج سلاح نووي". في هذا السياق، كتب المحلل العسكري في "هآرتس" عاموس هرئيل مقالة بعنوان "توقعات 2020: المواجهة مع إيران ستتواصل، وسيتغير فقط شكلها"، جاء فيها: "الشائعات بشأن موت المعركة بين الحروب مبالَغ فيها للغاية. المعركة بين الحروب لم تمت، بل غيّرت شكلها. المحاولات الإيرانية للرد على هجمات إسرائيلية في الجبهة الشمالية، وإطلاق نار كثيف من منظومة الدفاع الجوي السورية على كل قصف (إسرائيلي)، تفرض كما يبدو على الجيش الإسرائيلي القيام بتغييرات في نمط استخدام عمله. بما ينسجم مع ذلك، يبدو أن تواتر الهجمات انخفض، لكن الأسباب الأساسية للاحتكاك العسكري بين الطرفين – جهد إيران للتمركز العسكري في سوريا، وتهريبها السلاح إلى لبنان، والمحاولات الإسرائيلية للجم الاثنين – بقيت على حالها. لذا من المتوقع استمرار الاحتكاك.

رئيس الحكومة بنيامين نتنياهو من جهته حذّر من جديد من أن إسرائيل سترد على ما أسماه "عدوانية إيران وحزب الله"، واستشهد نتنياهو بأقوال جنرال كبير في الحرس الثوري هدد بأن إيران ستدمر تل أبيب بواسطة إطلاق صواريخ من لبنان. "إذا تجرأ حزب الله على مهاجمة إسرائيل، سيدفع الحزب والدولة اللبنانية اللذان يسمحان بهجمات من أراضيهما ضدنا ثمناً باهظاً جداً"، قال رئيس الحكومة. وقبل أيام من ذلك، وفي منتديات مغلقة، هدد وزير الدفاع نفتالي بينت بتحويل سوريا إلى "فيتنام". وفي منتديات مغلقة، وبصورة

مفاجئة أيضاً تحدث مسؤولون إسرائيليون كبار في المستوى السياسي ومستشاروهم في لقاءات مع نظرائهم من الخارج بلغة أكثر وضوحاً، أحياناً تؤدي إلى شعور محاوريهم بتشنجات. اعتاد وزراء الطاقم الوزاري (الإسرائيلي) المصغر في الأشهر الأخيرة على سماع نغمات ترهيبية من نتنياهو مع عودته إلى الاهتمام بالمشكلة الاستراتيجية المفضلة لديه: إيران.

تتحدث أوساط نتنياهو عن مسعى إيران لنشر "حلقة نار" حول إسرائيل، أي نصب صواريخ وقذائف مدفعية تهدد كل الأراضي الإسرائيلية من عدة جبهات: لبنان، سوريا، العراق، وقطاع غزة. ويُصوّر في إسرائيل تجدُّد محاولة إقامة خط إنتاج لتحويل سلاح حزب الله إلى سلاح دقيق في لبنان، كسبب كاف لشن حرب. من جهة أخرى يؤمن وزير الدفاع نفتالي بينت بتبني خط مبادرة وقوة شديدة في الشمال. وهو اثناء تفقُّده تدريباً عسكرياً في هضبة الجولان مع رئيس أركان الجيش أفيف كوخافي، أطلق تهديداً عدائياً: "ما دامت إيران تحاول التمركز في أرض سوريا، فستغرق في رمال سوريا. ونحن سنزيد الضغط". في نظر وزير الدفاع، الانتظار والاحتواء لم يعودا ممكنين. وعندما يكون الهدف رجال ايران فإن إيران حساسة إزاء الخسائر. وفي رأيه، يمكن إبعاد القوات العسكرية والميليشيات الأجنبية عن كل الأراضي السورية بواسطة عملية تُدارُ جيداً.

معهد القدس للدراسات الاستراتيجية والأمن نشر ايضاً تقديراً للسنة المقبلة. والمعهد الذي يضم أحد كبار المسؤولين، وهو اللواء في الاحتياط يعقوب عميدرور – الذي كان، سابقاً، مستشار نتنياهو للأمن القومي – يتوقع أن "تواصل إيران تفريغ الاتفاق النووي من مضمونه والتسريع، ربما بصورة دراماتيكية، من تراكم المواد الانشطارية لسلاح نووي. والضغط الأقصى الذي تمارسه واشنطن سيواصل زعزعة الاقتصاد الإيراني، والنظام سيواجه ضائقة خطيرة غير مسبوقة". في المقابل ثمة معقولية متزايدة لحدوث ما يسميه الاسرائيليون باستفزازات من جانب إيران. و"بدءاً من منتصف 2020، هناك احتمال حدوث مواجهة جرّاء ازدياد النشاط الإيراني لتجميع مواد انشطارية، وهذا ما يفرض استعداداً عسكرياً لمعالجة إسرائيلية مستقلة". التوقع المتعلق بالشمال ليس أكثر تفاؤلاً: "والمطلوب الاستعداد لأسوأ السيناريوهات، بما فيها قرار إسرائيلي للمبادرة إلى حرب وقائية ضد حزب الله."

التوترات في الجبهة الشمالية (حصل تدرب الجيش على سيناريو التصدي لهجوم كوماندوس تابع لحزب الله من لبنان واحتلال مستوطنات على طول الحدود)، يمكن أن تتأثر بثلاث خطوات: الاستفزازات الإيرانية في

الخليج التي يهدف جزء منها إلى جر الولايات المتحدة إلى مفاوضات جديدة على الاتفاق النووي؛ التظاهرات الكبيرة في لبنان والعراق، ولوقت قصير في إيران أيضاً، والتي تشكل تحدياً للنظام في طهران؛ والمشكلات العائلية والسياسية لنتنياهو.

لقد حرص رئيس الحكومة على الالتزام بالحذر والمسؤولية في معالجة الجبهة الشمالية. مع ذلك، يبدو أن هذه أوقات تتطلب حساسية خاصة من رؤساء المؤسسة الأمنية، انطلاقاً من ضخامة المسؤولية الملقاة على عاتقهم. الآن ليس وقت اتخاذ قرار نهائي بأنه لا مفر من حرب، لأن إيران تواصل خطواتها للتمركز غربي الحدود. وهذا الأمر صحيح أكثر، عندما يكون من نتحدث عنه رئيس حكومة انتقالية، فشل مرتين في محاولة تأليف حكومة ائتلافية، ويواجه لائحة اتهام في ثلاث جرائم فساد".

7 – أهداف محتملة للصواريخ الدقيقة:

تعتمد إسرائيل على عدد قليل نسبياً من مواقع البنية التحتية. وتقع مدنها الأكثر اكتظاظاً بالسكان فضلاً عن جميع بنيتها التحتية الحيوية في منطقة يبلغ عرضها 20 كيلومتر وطولها من 80 إلى 100 كيلومتراً. ولا يوجد فيها سوى 12 محطة كهرباء وثلاثة موانئ تجارية (حيفا وأشدود وإيلات) ومطار دولي رئيس، هو مطار بن غوريون الدولي. وفي حال استطاع حزب الله تحسين دقة صواريخه سيكون قادراً على ضرب أهداف مهمة، نذكر منها:

– قاعدة بلماخيم: منشأة عسكرية وقاعدة جوية لطائرات الهليكوبتر وأسراب الطائرات من دون طيار، وميناء فضاء إسرائيلي، تقع بالقرب من مدينة ريشون لتسيون.

– قاعدة تل نوف الجوية وسط إسرائيل.

– قاعدة نفاطيم الجوية: تقع في بئر السبع. وتضم خمسة أسراب من المقاتلات، بما في ذلك من طراز F35 الحديثة.

– قاعدة حتسور الجوية: تبعد عن قطاع غزة قرابة 35 كيلومتراً، تضم القاعدة في جنباتها سرب 101 "المقاتل الأول"، وسرب 105 "العقرب"، ويحتوي على مقاتلات F16 ثنائية المقعد، وقد شارك هذا السرب في حرب تموز 2006.

– مصفاة نفط حيفا.

– مفاعل ديمونا.

– قاعدة هاكيريا العسكرية في تل أبيب.

في السياق يشرح مصدر عسكري إسرائيلي لموقع "مونيتور" الأميركي، مدى الغضب السائد بين القيادات العليا في تل أبيب، ويكشف عن تحليق مقاتلات إسرائيلية قبالة الساحل اللبناني محملة بصواريخ وقنابل، بعد استهداف حزب الله لمركبة عسكرية إسرائيلية في مستوطنة أفيفيم. تلقت المقاتلات، حسب المصدر، أوامر بإطلاق صواريخها على أهداف مرتبطة بمشروع الصواريخ الدقيقة المنتشر في جميع أنحاء لبنان، إذا تصاعدت وتيرة العنف. ويُعتقد أنه كان من المفترض أن يكون أحد الأهداف المصنع نفسه الذي كشفت إسرائيل عن وجوده بعد 48 ساعة من عملية أفيفيم، في بلدة النبي شيت البقاعية. يضيف المصدر في حديثه مع الموقع الأميركي أن التموضع الإيراني في سوريا تراجع الآن إلى المكان الثاني في سلم الأولويات، وأضاف "ينبغي أن يعلم أمين عام حزب الله، (سماحة السيد) حسن نصر الله، أن إسرائيل ستفعل كل شيء من أجل منعه من تحسين دقة الصواريخ والقذائف الصاروخية التي بحوزته، وعندما أقول كل شيء، فإن هذا يشمل كل شيء". وقد عبر مصدر أمني إسرائيلي للموقع، عن استعداد إسرائيل لشن حرب ثالثة في لبنان لمنع المشروع. مشيراً الى أنه بمجرد الكشف عن وجود المصنع في النبي شيت، بدأ الحزب في إزالة خطوط التصنيع والمكونات المهمة من الموقع بأسرع ما يمكن. لافتاً أن التقييم الحالي في إسرائيل هو أن الحزب سوف ينشر الآن قدراته التصنيعية بين مختلف المراكز السكانية، ولا سيما بيروت، وذلك للحد من مخاطر أي هجوم إسرائيلي.

على صعيدٍ متصل، رأت صحيفة "واشنطن تايمز" الأميركية، أن مشروع الصواريخ الدقيقة سيمكن الحزب، من تدمير المباني الحكومية الإسرائيلية الرئيسة، وإلحاق خسائر كبيرة في الاحتياطيات النفطية، وتعطيل القوات الجوية الإسرائيلية. وأشارت الصحيفة إلى أن السؤال الرئيس المطروح في الإدارة الأميركية اليوم، هو ما إذا كانت إيران تؤمن بأن حرباً جديدة بين إسرائيل وحزب الله تصب في مصلحتها. وسط تخوفات من أن تتسبب الأوضاع الداخلية الإيرانية بحرب في الإقليم قبل نهاية هذا العام.

لقد عبّر حزب الله مراراً وتكراراً عن تفاخره بقدرة صواريخه بعيدة المدى على ضرب تل أبيب. وبحسب الصحيفة الأميركية، يمكن لبعض صواريخه اختراق دفاعات "القبة الحديدية"، خصوصاً إذا كان إطلاقها منسقاً مع إطلاق جماعي للصواريخ الدقيقة التي تم تصنيعها حديثاً. وبالتالي فان أي جولة حرب جديدة ستلحق بالجانبين خسائر هائلة.

المشكلة الأكبر للإسرائيليين، تأتي، وفق الصحيفة، من حقيقة أن الحزب يختبئ وينقل أسلحته في المنازل والمدارس والمساجد المدنية. وبرغم الكفاءة التي تتمتع بها أجهزة المخابرات الإسرائيلية، فإنها لا تستطيع بشكل موثوق تحديد عدد كافٍ من المواقع لجعل الضربات الوقائية فعالة بما يكفي لمنع الإطلاق الصاروخي المكثف من لبنان. وقد تزامنت التسريبات الإسرائيلية مع دعوة عدد من القادة البارزين لعدم التسامح مع الحزب، إذ اعتبر رئيس دائرة الأبحاث في شعبة الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية الأسبق، عاموس غلبواع، في حديثٍ مع صحيفة "معاريف"، أن على إسرائيل تقديم المواجهة مع الحزب، بسبب مشروع تحسين دقة الصواريخ، على المواجهة مع حماس في قطاع غزة، مضيفاً: "لقد وصلنا الآن إلى وضع تقتضي فيه الضرورة الأمنية العليا بمنع تزايد قوة حزب الله، من خلال إنتاج منظم لصواريخ دقيقة". من جهة اخرى قال رئيس مجلس الأمن القومي الإسرائيلي الأسبق، الجنرال في الاحتياط غيورا آيلاند، لصحيفة "يديعوت أحرونوت" أن إسرائيل لا يمكنها تحمل وضع يكون فيه بحوزة حزب الله مئات أو آلاف الصواريخ الدقيقة. وأنه يتعين على المجلس الوزاري المصغر الحالي أو ذلك الذي سيتشكل بعد الانتخابات، أن يتخذ قراراً بشأن الوضع الحالي. كذلك اكد الخبراء ان الارتباك والقلق والتوتر الذي يعيشه كيان الاحتلال الاسرائيلي، والتراجع في المرافق الحياتية والاقتصادية داخل الكيان بشكل عام وفي الشمال اللبناني بشكل خاص، جاء نتيجة اجماع اسرائيلي مجتمعي وسياسي وامني وعسكري على جدية كلام سماحة السيد حسن نصر الله بالرد على الاعتداء الاسرائيلي على الضاحية الجنوبية في لبنان. وكل حرف يقوله الامين العام لحزب الله السيد نصر الله يؤخذ على محمل الجد من قبل العدو الاسرائيلي، وبحكم التجربة القديمة التي عمرها عقدين تؤكد ان ما يقوله السيد نصر الله يفعله، والامر الثاني هو ان الجبهة الداخلية غير قادرة على دفع الاثمان. وبالتالي ان الخشية الاسرائيلية تؤكد ان الاحتلال غير معني للذهاب باتجاه حرب مفتوحة وسط القلق والاستنفار على طول 6 كيلومتراً من حدود فلسطين المحتلة الشمالية حيث يمنع الحركة فيها من مزارعين وغيره، اضافة الى خلو المنطقة من المرافق

العسكرية والجيش الاسرائيلي والمنطقة شبه خالية. والملفت ان اطلاق الجيش اللبناني النيران على الطائرات المسيرة الاسرائيلية المعتدية، يعد حدثا كبيرا وردا استراتيجيا، ورسالة واضحة للاحتلال بان الجبهة اللبنانية اليوم موحدة وصعب اختراقها في ظل علاقة الجيش اللبناني الجيدة مع حزب الله. والاعتداء الاسرائيلي على أي مؤسسة تابعة لحزب الله سيكون بمثابة اعتداء على الدولة والجيش اللبنانيين الذي لن يتوانى بالدفاع والرد على مصدر الاعتداء، لاسيما وان حزب الله قادر على فرض منع التجول على كل "اسرائيل" في حال امتلاكه صواريخ بعيدة المدى دقيقة والذي يعادل السلاح النووي ما تشكل تهديداً امنياً وجودياً على كيان الاحتلال.

8- صواريخ المقاومة تهديد وجودي:

للمرة الأولى، تقرّ «إسرائيل»، رسمياً، بأن الصواريخ الدقيقة التي يمتلكها حزب الله تشكّل «خطراً وجودياً على إسرائيل». وما يضفي على هذا الموقف خصوصية إضافية أنّ من أقرّ به هو وزير الأمن المسؤول عن الجيش، وأن هذا الاعتراف يعدّ خلاصة تقدير موقف من قبل جهات القرار في كيان العدوّ لطبيعة ردود الحزب على أي عدوان على لبنان، يمكن أن تتورط فيه إسرائيل نتيجة تقديرات خاطئة.

خصوصية الاعتراف الإسرائيلي، الأول من نوعه، بـ«الخطر الوجودي» لصواريخ حزب الله الدقيقة، أنه جاء على لسان المسؤول الأول عن جيش العدو أمام الحكومة والمجلس الوزاري المصغّر والرأي العام. والأهم أنه لم يأت رداً على سؤال صحافي محرج، أو نتيجة عدم الدقة في التعبير خلال سجال، بل عبّر عنه وزير الأمن الجنرال بني غانتس في كلمة معدّة سابقاً، وأمام الهيئة العامة للكنيست، في سياق نقاش لتعديل قانون عملاء جيش أنطوان لحد وأسرهم من أجل منحهم «وسام المعركة».

غانتس أقرّ بأن الصواريخ الدقيقة التي يمتلكها حزب الله تشكل، في مرحلة من مراحل تطورها كمّاً ونوعاً، «خطراً وجودياً على إسرائيل». ومهّد لهذا الموقف غير المسبوق، بالحديث عن سعي حزب الله إلى تعظيم قدراته الصاروخية مدى ودقةً، مؤكداً أن «إسرائيل» لن تسمح بهذا التعاظم «بشكل يصبح خطراً وجودياً» عليها. وإلى ما ينطوي عليه هذا الموقف من إقرار على لسان وزير جيش العدو، فإنه يكشف أيضاً عن أكثر من رسالة وتقدير إزاء معادلات الكباش المحتدم بين حزب الله وكيان العدو ونتائجه، على المستويين الاستخباري والردعي، وفي مجال سباق تطور القدرات. كما يؤشر، صراحةً، الى إقرار جيش العدو وقيادته

السياسية بحجم التحوّل الذي طرأ على معادلة القوة، وإلى المخاوف التي تهيمن على مؤسسة القرار السياسي والأمني إزاء مستقبل تطوّر قدرات حزب الله ومحور المقاومة في مواجهة الأخطار التي يُشكِّلها كيان العدو، وفي تعزيز معادلة الردع الإقليمي.

لم يكن حزب الله لينجح في تحقيق هذا الإنجاز الاستراتيجي في سياق المعركة الدائرة مع كيان العدو، بأجهزته العسكرية والاستخبارية، لولا أنه انطلق من رؤية عميقة ودقيقة للبيئة الاستراتيجية التي يتحرك فيها، بشقيها الخارجي والداخلي، ولولا أنه واجه استراتيجية العدو الإسرائيلي، ومعه الولايات المتحدة، باستراتيجية مضادة يمكن رسم بعض معالمها من خلال الوقائع والأداء سابقاً وحالياً.

إن أي عملية بناء وتطوير للقدرات الصاروخية والعسكرية في مواجهة عدوّ متفوّق كمّاً ونوعاً، ويشكل تهديداً استراتيجياً ووجودياً، لم تكن لتتحقّق لولا دقّة الأولويات التي تبنّتها مقاومة حزب الله، ووفّرت لها المظلّة التي تحتاج إليها لتطوير قدراتها الدفاعية والردعية، مع الالتزام التام بكل مقتضياتها المحلية والإقليمية. ففي مواجهة خيارات العدو العملانية الوقائية، تحت عنوان «المعركة بين الحروب»، نجح حزب الله أيضاً في إرساء معادلة ردع ادت الى كبح جيش العدو عن شنّ اعتداءات تهدف الى إرباك عملية تطوير القدرات العسكرية والصاروخية. ومن البديهي أن كل ذلك لم يكن لينجح، أيضاً، لولا الحصانة الاستخبارية التي نجح حزب الله في فرضها على كل هذا المسار، إلى حدّ إقرار وزير الأمن الإسرائيلي السابق نفتالي بينت بأنّ «إسرائيل لم تكن على علم بـ 80% من عمليات نقل الصواريخ إلى حزب الله في لبنان». وفي هذا، أظهر حزب الله إبداعاً في مواجهة التفوّق التكنولوجي والعسكري للعدوّ، وفي ظل ما يتمتّع به هذا العدو من تحالفات إقليمية ودولية توفّر له الدعم الاستخباري والعملياتي في مواجهة محور المقاومة، ومن ضمنه حزب الله.

إن معالم الاستراتيجية التي غيَّر حزب الله ـ بحسن تطبيقها ـ معادلات القوة مع كيان العدو، أجملها قائد المنطقة الشمالية، اللواء أمير برعام، بشكل صريح، عندما أقرّ بأنّ من سبقوه في منصبه، فشلوا في إحباط عملية تطوير قدرات حزب الله، لأنهم «لم يروا كينونة الموضوع» (مقابلة مع صحيفة «إسرائيل اليوم»، يوآف ليمور، 2020/9/17). وبهذا، اعترف برعام بنجاح حزب الله في تضليل قادة العدو وأجهزته السياسية والاستخبارية على المستويات الاستراتيجية والعملياتية والتكتيكية، في كل ما يتعلق بخطته لتطوير قدراته المتنوعة. بعبارة أكثر دقة، لم ينجح قادة العدو وأجهزته الاستخبارية في قراءة وتقدير المدى الذي يمكن أن

يبلغه الحزب في تطوير قدراته، ولا في اكتشاف الخطة التي نفّذها على مدى السنوات الماضية، رغم أنه كان منخرطاً في مواجهة تهديدات وجودية للمقاومة ولبنان والمنطقة.

تجدر الإشارة إلى أن عدم إدراك قادة جيش العدو لـ«كينونة» مشروع حزب الله وخطّته والمسار الذي انتهجه، بلغ مرحلة بات فيها يُقيِّد مفاعيل تفوّق جيش العدو النوعي في أكثر من مجال. وهو الهمّ الذي أعلنه رئيس أركان الجيش أفيف كوخافي، في أول جلسة لهيئة أركان الجيش بعد تولّيه منصبه (2019/2/16)، عندما حذّر من تداعيات نجاح حزب الله في تقليص «الفجوة بينه وبين الجيش الإسرائيلي الذي عليه التحرّك لتغيير المسار وبسرعة...».

في سياق متصل، تجدر الإشارة، أيضاً، الى أن إقرار غانتس بحجم التهديد الذي يمثّله تطوّر قدرات صواريخ حزب الله الدقيقة على الأمن القومي الإسرائيلي ووجود «إسرائيل»، ينطوي على إقرار، بمفعول رجعي، بما أعلنه الأمين العام لحزب الله سماحة السيد حسن نصر الله عام 2018، عن "إنجاز الأمر" في ما يتعلّق بامتلاك الصواريخ الدقيقة. كما يكشف عن مستوى من تكيّف إسرائيل وتسليمها، حتى الآن، بنجاح الحزب في تجاوز ما سبق أن اعتبره قادة العدو «خطاً أحمر» يُمنع تجاوزه. ولا يتعارض هذا الإقرار ورسائله مع محاولة العدو توظيف هذا التقدير حول الطابع الوجودي لصواريخ حزب الله الدقيقة، في أكثر من اتجاه. وعلى المستوى الداخلي، من الطبيعي أن تعمد قيادة العدو الى تبرير انكفائها عن المبادرة العملانية حتى الآن، في وقت تتحدث فيه عن استمرار تعاظم القدرات النوعية للحزب. وعلى خط مواز، تعمل على تهيئة جمهورها لتقبّل الأثمان التي ستدفعها الجبهة الداخلية في أيّ مواجهة مفترضة. بذلك، فإن غانتس يدعو الجمهور إلى التواضع في تحديد سقف توقّعاته إزاء ما يمكن أن يحقّقه الجيش على المستوى العملياتي. ومن الواضح أنّ هذا الإقرار ينطوي، أيضاً، على توجيه رسائل إلى الخارج، بأنّ «إسرائيل» عادة لا تسلّم بالتهديدات الوجودية... لكنّ كيان العدو، بكل أجهزته يدرك أن معادلات ما قبل الصواريخ الدقيقة تختلف جذرياً عما بعدها. وهذه الحقيقة سبق أن أقرّ بها رأس الهرم السياسي، بنيامين نتنياهو، عندما كان لا يزال يراهن على إمكانية إحباط تطوير قدرات حزب الله، بالقول إن امتلاك حزب الله صواريخ موجّهة ودقيقة يؤدّي الى «تغيير قواعد اللعبة... ويشكل خطراً كبيراً على إسرائيل» (موقع مكتب رئيس الحكومة، 2017/12/10).

يبقى مفهوم أساسي لا بدّ من إيضاحه، وهو أن «الطابع الوجودي» الذي وسم به غانتس الخطر المحدق بمستقبل إسرائيل، نتيجة امتلاك حزب الله الصواريخ الدقيقة، يؤشر أيضاً الى حجم التهديد الاستراتيجي الذي تشكّله هذه الصواريخ على الأمن القومي الإسرائيلي في المعادلات الحالية (وليس المستقبلية كما هي حال التهديد الوجودي). والأهم أن مواقف وزير الأمن التي تتّصل بما تواجهه إسرائيل من تهديدات، تعبّر عن الخلاصة التي انتهت إليها جلسات تقدير الوضع التي يعقدها مع الجيش والاستخبارات العسكرية، ومن ضمنها تقدير حجم المخاطر ومساراتها المستقبلية.

في ضوء ذلك، يكشف هذا الإقرار عن حجم مفاعيل حضور قدرات حزب الله لدى جهات القرار، لجهة تقديرها لطبيعة ردود الحزب على أيّ عدوان يمكن أن تتورّط فيه إسرائيل نتيجة تقديرات خاطئة. والجدير بالملاحظة في الآونة الأخيرة أنّ الأعلام العبريّ، الذي يقتات من تسريبات المؤسسة الأمنيّة في كيان الاحتلال ، بأنّه يُركِّز بصورة لافتةٍ للعيان جُلّ جهوده من أجل عرض ترسانة حزب الله والتأكيد في الوقت عينه على أنّ الحزب تعاظم كمًا ونوعًا، وبات يُشكِّل خطرًا إستراتيجيًا على الدولة العبريّة، مع التشديد على أنّ كلّ بُقعةٍ في إسرائيل باتت في مرمى صواريخ المُقاومة الإسلاميّة في لبنان. وغنيٌّ عن القول إنّ هذا التوجّه ليس وليد الصدفة، بل هو خطوة من خطوات الحرب النفسيّة التي تقودها دولة الاحتلال ضدّ حزب الله، ولكن في المُقابل نرى جليًا وواضِحًا أنّ الرسائل المُوجهّة من إعلام الكيان ومؤسساته الأمنيّة والسياسيّة تستهدِف المواطنين الإسرائيليين، الذين باتوا يخشون من صواريخ حزب الله بشكلٍ كبيرٍ، وتحديدًا لأنّ قادتهم يعودون ويؤكّدون مرّةً تلو الأخرى، أنّ صواريخ المُقاومة من قطاع غزّة هي بمثابة لعبة أولادٍ صغارٍ، مُقارنةً مع الصواريخ التي يمتلكها حزب الله، والتي تشمل بحسب ماكينة الدعاية الصهيونيّة الصواريخ الدقيقة جدًا، والتي تسلّمها الحزب من الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران. وعلاوةً على ذلك أقرّ كيان الاحتلال بشكلٍ رسمي وعلني بأنّه لا يملك منظوماتٍ دفاعيّةٍ تقوم بصدّ الصواريخ الإيرانيّة المُجنحّة (كروز)، والتي يُقدّر كبار المؤسسة الأمنيّة في تل أبيب أنّ طهران ستقوم باستعمالها، وأيضًا حزب الله وسوريّة، في المعركة القادِمة بينهما، لافتةً إلى أنّ استخدام هذا النوع من الصواريخ سيتسبب بخسائر فادحةٍ للدولة العبريّة، وعلى نحوٍ خاصّ لمنشآتها الإستراتيجيّة. لذا تُسمَع الأصوات العالية في تل أبيب المُطالِبة بتصنيع منظوماتٍ دفاعيّةٍ تكون بمثابة الجواب الكافي والشافي على التهديد الصاروخي الإيراني.

في السياق عينه قال نائب وزير الأمن الإسرائيليّ سابِقًا، د. إفراييم سنيه، والذي تبوأ مناصب أخرى كثيرة بالمؤسسة الأمنيّة وفي الكنيست، قال إنّ التهديد الذي يُكثِرون من الحديث عنه في الفترة الأخيرة هو تهديد الصواريخ الدقيقة، بالإضافة إلى الطائرات المُسيّرة الهجومية التي تُحلِّق على ارتفاعاتٍ متدنية، ولكنّ التهديد الذي لا يتناولونه، قال سنيه، هو التهديد الإقليمي المُتمثِل بالصواريخ التي تفوق سرعتها بعدّة مرّاتٍ سرعة الصوت، كذلك، شدد المسؤول الإسرائيلي السابِق، على أنّ هذا النوع من الصواريخ يختلِف عن الصواريخ العابرة للقارّات، لأنّ أهدافها ومسارها ليست متوقعة، أيْ منذ انطلاق هذه الصواريخ، وحتى إصابتها الهدف، على حد قوله. وأوضح وزير الأمن الإسرائيلي السابِق أنّ إسرائيل باتت مُلزمةً بتطوير منظومات الدفاع بوجه هذه الصواريخ ، وتحديدًا ضدّ الصواريخ الإستراتيجيّة الصينيّة–الروسيّة، الأخطر من صواريخ إيران من طراز (كروز)، وإذا لم يقُم الكيان بهذه الخطوة، أكّد سنيه أنّ إسرائيل ستكون أمام خياريْن اثنيْن: إما أنْ تكون بدون دفاعٍ ضد هذه الصواريخ، أوْ أنْ تعتمِد على غيرها في الدفاع عنها من هذه الصواريخ الخطيرة جدًا، بحسب وصفه. وكانت صحيفة (يسرائيل هايوم) قد كشفت النقاب عن طريق مُراسِلها بالكنيست، جدعون ألون، أن أكثر من عشرين عُنصرًا من أفراد حرس الكنيست الإسرائيلي (البرلمان) قاموا بتنفيذ مُناورةٍ تُحاكي سيناريو سقوط صاروخٍ قوي على مبنى الكنيست في القدس الـ"غربيّة". وتابعت الصحيفة قائلةً، نقلاً عن مصادرها الخاصّة، إنّ المناورة التي استغرقت ساعات، أُجريت في منشأة التدريب الخاصّة بالجبهة الداخليّة في الدولة العبريّة بمدينة أشكلون (عسقلان). ووفق الصحيفة، فقد تدّربت فرق الإنقاذ على تخليص العالقين تحت الأنقاض، وارتدى هؤلاء ملابس الإنقاذ واعتمروا الخوذ، ونفذوا المهامَ المُختلِفة بين الدمار، وتمرّنوا على كيفية تقديم الإرشادات، والعمل كفريقٍ واحدٍ، وتوفير الرعاية الطبية أثناء عمليات الإنقاذ.

من ناحية أخرى قال مسؤول الطوارئ في الكنيست أفنير داغاني للصحيفة: "حاكت قوات الجبهة الداخليّة في الجيش مع حرس الكنيست والطواقم الطبيّة تدمير جزء داخل مبنى الكنيست، سواء جرّاء ضربةٍ صاروخيّة، أوْ وقوع زلزالٍ أو هزّةٍ أرضيّة، مضيفًا في الوقت عينه أن التنسيق بين جميع هذه الأطراف يضاعف قوة الاستعداد للطوارئ". وأضاف قائلاً للصحيفة المُقربّة من رئيس الوزراء نتنياهو، "إنّ هذه المرّة هي الأولى التي نجري فيها مثل هذا التمرين، ونطمح أنْ نكون طاقم الإنقاذ الأول لجميع المباني الحكومية في القدس".

9 – معالم المرحلة المقبلة:

اعتبر رون بن يشاي المعلق الأمني في صحيفة "يديعوت أحرونوت" العبرية، أن التقارير التي تحدثت عن شن هجمات داخل سوريا ونسبت الى الجيش "الإسرائيلي"، يمكن التقدير بشكل أكيد أنها مؤشر على مرحلة جديدة في المواجهة الاستراتيجية بين إيران وحزب الله من جهة وبين "إسرائيل" من جهة أخرى. وأشار الكاتب إلى أن "هذه المواجهة مستمرة منذ أكثر من عشر سنوات، لكنها الآن تتركز ضد جبهة واحدة: جبهة السلاح المنحني المسار، أي الصواريخ التي تقوم إيران بتزويدها إلى حزب الله من أجل توجيه ضربة قاضية للجبهة الداخلية "الاسرائيلية المدنية والعسكرية"، حسب تعبيره. وأضاف بن يشاي أن "هدف حزب الله وايران هو أن تكون لهما القدرة على تهديد البنية التحتية الحيوية في "اسرائيل"، كالمياه، الكهرباء، الجهاز الطبي، المواصلات، المطار ومخازن الطوارئ، بشكل تجد "إسرائيل" معه صعوبة في التعافي بعد توجيه ضربة ضدها". وأشار الكاتب إلى أن "المرحلة الأولى في المواجهة الاستراتيجية وان كانت لم تبدأ اليوم، لكنها تكتسب زخمًا في الوقت الحالي كون "إسرائيل" أنهت قبل عدة أسابيع إقامة المنظومة المتعددة الطبقات لاعتراض الصواريخ والدفاع عن أجواء "إسرائيل"، على حد قوله. وتابع بن يشاي أن "ايران وحزب الله يدركان أن منظومة اعتراض الصواريخ التابعة للجيش الإسرائيلي، التي لا مثيل لها في العالم، تشكل تحديًا بالنسبة لهما ولقدرتهما على تهديد إسرائيل وردعها. وحتى لو أنهما غير معنيَّين الآن بالحرب مع إسرائيل، لكنهما يريدان الحفاظ على أهلية الردع مقابلها، ولذلك قررا تغيير الاستراتيجية وبدلا من تزويد حزب الله بمئات آلاف الصواريخ العددية، أي صواريخ غير دقيقة واغلبها يسقط في أراض مفتوحة، قررا الانتقال الى ترسانة يكون أغلبها صواريخ دقيقة". وكتب بن يشاي، قائلاً:"الشرح بسيط، الإيرانيون وحزب الله يدركون أن صواريخ الاعتراض الإسرائيلية، قادرة على اعتراض أكثر من 80% من الصواريخ التي اطلقت حتى الآن على إسرائيل. لذلك فإن السبيل لتحدي هذه المنظومة هو إطلاق صليات مكوّنة من عشرات الصواريخ دفعة واحدة في محاولة للتغلب على منظومة الاعتراض الإسرائيلية بواسطة العدد (الكمية)". وأشار بن يشاي إلى "أنه حتى لو اعترضت المنظومات الإسرائيلية أغلب الصواريخ التي سيطلقها حزب الله أو إيران او سوريا على إسرائيل، فإن من الممكن أن تسقط صواريخ على الأراضي الإسرائيلية، لأن أعداد المنظومات الإسرائيلية ستجد صعوبة في مواجهة الضغط الكبير في عدد الصواريخ (الاكتظاظ)". أضاف:"لذلك يريد الإيرانيون في المرحلة الجديدة التأكد من أن تكون

الصواريخ القليلة التي ستخترق منظومة الاعتراض الإسرائيلية دقيقة وتصيب أهدافها وأن لا تسقط في مناطق مفتوحة. وهم يقومون في الوقت الحالي بتطوير ترسانة الصواريخ الضخمة التي بحوزة حزب الله، التي تبلغ حاليًا أكثر من 130 ألف صاروخ، إلى منظومة أكبر بكثير تحتوي على صواريخ موجهة، دقيقة، والتي إذا أصاب القليل منها أهدافها، فإن ضررًا كبيرًا سيلحق بالكيان".حسب تعبيره.

وقال الكاتب الاسرائيلي:"ما يحاول حزب الله والإيرانيون في الواقع فعله هو أن تكون لهم القدرة على اطلاق صليات من عشرات الصواريخ الدقيقة دفعة واحدة كي لا تستطيع المنظومات الإسرائيلية اعتراضها كلها، وما يبقى يصيب بالتأكيد الهدف الذي حددوه في إسرائيل ويلحق ضررًا به". ويخلص بن يشاي الى أن هذه الاستراتيجية واضحة للجيش الإسرائيلي وتقلق جدًا المؤسسة الأمنية الإسرائيلية. ويضيف "عمليا، بعد النووي الإيراني يعتبر في الوقت الحالي هذا التهديد الاساسي والأخطر على إسرائيل بسبب إمكانية الدمار والخسائر التي سيوقعها في الجبهة الداخلية الاسرائيلية المدنية والعسكرية".على حد قوله. من ناحية اخرى لا يمكن اعتبار ان الصواريخ غير الدقيقة التي تمتلكها المقاومة (عددها بحسب آخر الإحصاءات الإسرائيلية يصل الى نحو 150 ألفاً) لم تعد تمثل تهديداً لإسرائيل يستدعي المعالجة، ولكن، غاية المسألة أن العدو صار يائساً من إمكانية التأثير على الكم العددي المتراكم لهذه الصواريخ، بحيث أصبح أي جهد سياسي أو عملياتي ـ وقائي أو استباقي ـ ضدّه عبثياً، وأشبه بالحراثة في بحر. لكن يبقى أن للصواريخ الدقيقة خطورتها الاستثنائية في ميزان التهديدات الموجهة للعدو الإسرائيلي.

ترتكز القوة العسكرية الإسرائيلية على دعامتين أساسيتين: المناورة البرية المدرعة والسريعة، أي القدرة على التوغل داخل أراضي العدو والسيطرة عليها في وقت قياسي؛ والتفوق الجوي، أي القدرة على الوصول إلى أي نقطة واستهدافها بدقة. المقاومة قوّضت، عملياً، الدعامة الأولى من خلال اشتغالها على أمرين: الأول هو تصورها العملاني القائم على قتال حرب العصابات الذي من شأنه أن يحول أي سيطرة برية إلى حالة استنزاف مميت، والثاني هو حيازتها صواريخ موجهة مضادة للدروع قادرة على الفتك بدرّة تاج التدريع الإسرائيلي المتمثل بدبابة «ميركافا» من الجيل الرابع. أما الدعامة الثانية، فبرغم أن المقاومة لم تعلن ـ حتى الآن ـ امتلاكها قدرات إعتراضية بإمكانها التصدي للتهديد الجوي أو الحد منه، لكنها اشتغلت على امتلاك قدرات موازية سعت من خلالها إلى اختزال هذا التهديد، بمعنى إيجاد توازن مقابلٍ لفعاليته القتالية. تجسد ذلك

في السلاح الصاروخي الذي وفّر للمقاومة إمكانات هجومية ميزتُها القدرة على استهداف «عقب أخيل» الإسرائيلي المتمثل بالجبهة الداخلية التي من المسلّم أن امتداد رحى الحرب نحوها يشكل عاملاً حاسماً في التأثير على مسارها ونتائجها. لكن حتى هنا، كانت فعالية التهديد الصاروخي إحصائية. ذلك أن الصواريخ، بنسختها الغبية، ستضرب العمق بشكل شبه عشوائي، وسينتج منها أثر تدميري غير مركز. في حين أن إدخال خاصية الدقة إلى الرمايات النارية العميقة من شأنه أن يضفي قِيَماً مضاعفة على فعاليتها الحربية، وذلك من خلال ثلاثة مسارات: الأول، إتاحته إمكانية ممارسة الضغط المباشر على القدرة القتالية للجيش الإسرائيلي عبر استهداف الثكنات العسكرية وقواعد سلاح الجو ومناطق التحشيد ومنشآت السيطرة والتحكم وما شابه؛ الثاني إتاحته إمكانية تشويش بل وشلّ منظومات الخدمات المتعلقة بالبنى التحتية المدنية لفترات طويلة والتسبب بأضرار قيمتها مليارات الدولارات؛ وأخيراً إمكان الارتقاء في فعاليته إلى حد السلاح غير التقليدي من خلال استهداف منشآت غير تقليدية، بتروكيميائية أو نووية. وبهذا المعنى، تحولت صواريخ المقاومة الدقيقة إلى الرد النقيض على التفوق الإسرائيلي الجوي، لجهة أن استخدامها يمنح المقاومة القدرة على فعل ما يقوم به سلاح الجو، أي استهداف أي نقطة داخل العمق الإسرائيلي، لكن من دون طائرات. لكن ثمة امر اضافي وهو أن حساسية إسرائيل لتهديد السلاح الدقيق وأضراره حساسية مضاعفة قياساً إلى الدول المجاورة. فمن جهة، هي «دولة» حديثة ذات بنى تحتية حيوية متطورة، ومن جهة أخرى، مساحتها الجغرافية محدودة وتفتقر إلى العمق الآمن، فيما بناها التحتية تنحو إلى المركزية وقلة الوفرة. على سبيل المثال، وفقاً لبحث نشره معهد أبحاث الأمن القومي في إسرائيل، يتبين أن 28 في المئة من مجمل الطاقة الكهربائية المنتجة في إسرائيل، والبالغة نحو 18 ألف ميغا وات، يجري إنتاجها في معملين فقط، فيما يتوزع إنتاج 51 في المئة منها على ستة معامل أخرى. يعني ذلك أن تهديداً يتضمن عدداً قليلاً من الصواريخ الدقيقة تتمكن من اختراق الطبقة الدفاعية الاعتراضية وتصيب هذه المعامل يمكن أن يحدث كارثة خدماتية واقتصادية لا سابق لها. وبحسب البحث نفسه، فإن الصورة مشابهة أيضاً في ما يتعلق بمنظومات حيوية أخرى، مثل منظومة إدارة الكهرباء القطرية، منشآت إنتاج ونقل الغاز الطبيعي في البحر وعلى الساحل، منشآت تحلية المياه (خمس منشآت فقط تزود إسرائيل بنصف مياه الشفة التي تستهلكها)، المنشآت البتروكيميائية وغيرها. ومن البديهي طبعاً أن

نضيف إلى ذلك المرافق الأساسية المعدودة مثل مطار بن غوريون أو مرافئ حيفا وأسدود وإيلات لنصبح أمام تهديد يحاكي شبه انهيار في بيئة هشة لم تعتد تحديات كارثية كهذه.

ثمة معضلة إسرائيلية أخرى في هذا السياق. فلدى قادة العدو رأي متبلور يجري التصريح به مواربةً بين الحين والآخر، بأن خاصية الدقة في صواريخ حزب الله من شأنها أن ترحل مسألة الجبهة الداخلية ببعدها المدني إلى المرتبة الثانية في سلّم الأولويات قياساً إلى أهمية وتأثير الأهداف ذات الطابع العسكري حال استهدافها خلال الحرب. يعني ذلك أن أولوية الحماية التي يُفترض أن تؤمنها منظومات الاعتراض الدفاعي (القبة الحديدية وغيرها) ستكون للمنشآت العسكرية الضالعة بالجهد القتالي، وسيكون ذلك على حساب كشف المدنيين أمام الهجمات الصاروخية، مع ما يعنيه ذلك من تنامي حدة النقمة الشعبية على الحكومة وانعكاس ذلك في إدارتها للحرب. بالتالي يصبح مفهوماً والحال هذه أن التهديد الصاروخي الدقيق، مقارنة مع الصاروخي العشوائي، هو في الموازين الإسرائيلية تهديد لا يُحتمل. فهو يمنح المقاومة مستوى نوعياً من التهديد، معطوفاً على التهديد الاستنزافي الكمي الذي يشكله الاستهداف العشوائي. وهذا التهديد النوعي ليس من شأنه فقط أن يثقل حسابات الارتداع الإسرائيلي عن الحرب، وإنما أيضاً أن يشكل محدداً أساسياً في إدارتها من حيث الكثافة والوتيرة والمدى، ودافعاً قوياً لتقصير أمدها بقدر ما يكون الأمر متاحاً من الناحية العملية. بالتالي يصبح مفهوماً أيضاً بداهة أن تخرج إسرائيل عن طورها في مساعيها للحؤول دون امتلاك المقاومة لهذا السلاح، وبداهة أن تسعى الأخيرة إلى امتلاكه بالرغم من كل شيء. «قضي الأمر»، صرّح الأمين العام لحزب الله، سماحة السيد حسن نصر الله، قبل أشهر في سياق تطرقه الى هذا الاستحقاق. ويُفهم من ذلك أن حيازة المقاومة للصواريخ الدقيقة تجاوزت مرحلة أن يؤثر فيها أي جهد إسرائيلي عملاني أو سياسي. لننتظر فقط وصول تل أبيب إلى هذه النتيجة، فهي عوّدتنا أن تصل متأخرة، لكنها ستصل.

10 – جنرالات ينتقدون "سياسة الدفاع الضعيفة":

قال جنرال إسرائيلي إن "إسرائيل مطالبة بمواجهة ما وصفه "وباء الجهاد"، من خلال وقف تلعثمها الأمني؛ لأنه فيما يتعلق بمنظمات المقاومة: حزب الله في لبنان وسوريا وحماس في غزة، فإنها تشكل أزمة موازية لأزمة كورونا، صحيح أن الهجمات المنسوبة إلى إسرائيل في سوريا تعدّ الحل المعياري للصداع المزمن، لكنها

ليست أبعد من ذلك، لأننا إذا لم نهزم أعداءنا، فسوف ندفع ثمنا باهظاً في المستقبل". وأضاف تسفيكا فوغيل، القائد الأسبق للمنطقة الجنوبية في الجيش الإسرائيلي، في مقال نشره موقع "واللا" الإخباري، أن "أزمة كورونا تعمل على تحويل الانتباه الإسرائيلي، لأنها تركز على المجهود الحربي مع هذا العدو الوبائي، وتنسى العدو العنيد الذي يواصل الهجمات في كل فرصة، مع العلم أنه سينتهي هذا الوباء، إن لم يكن غدا، ففي غضون عام". وأوضح فوغيل، أحد جنرالات الجيش الذي خدم بين عامي 1975–2003، وخاض معظم حروب إسرائيل في هذه العقود الثلاثة، أن "فيروس كورونا سيحصل على لقاح، وتطوير طرق للوقاية من العدوى، في حين أن التنظيمات الجهادية كحزب الله في جنوب لبنان ومرتفعات الجولان السورية، وحماس في غزة والضفة الغربية، يجب أن تجد علاجا حاسما، مع أن إسرائيل تبذل جهدا هائلا لمواجهة هذه التحديات، لكن قباطنة المنظومة الأمنية الإسرائيلية كانوا غافلين . وأكد أنه "يجب ألّا نكون متحمسين للغاية للهجمات المنسوبة إلى إسرائيل في سوريا، رغم أنها توفر استخبارات ممتازة، وقدرات كبيرة من سلاح الجو وخدمة الإطفاء، لكنها على مستوى مكافحة وباء الجهاد، هذا لن يمنع التهديد، لكنه سيخفف الصداع، ويجب تهيئة النشاط باتجاه استهداف التواجد الإيراني في سوريا، وإحباطه من خلال ضرب مشروع الصواريخ الدقيقة لحزب الله، رغم أن هذا الجهد هو مجرد مبادرة صغرى او عاصفة في كأس ماء". وأشار إلى أنه "كي لا يكون الإسرائيليون مرتبكين، فقد بذلوا الكثير من الجهد في ذلك، لكن الدول المعادية لا تتوقف عن توزيع الأكاليل. وقبل أسبوع واحد فقط، أوضح لنا حسن نصر الله من أين يمكن أن يأتي السيئ، وقبل عدة ليال كانت لدينا ثلاث فجوات في الحدود الشمالية مع لبنان. أما حماس في قطاع غزة ومبعوثوها في الضفة الغربية، فيواصلون جهودهم في هذا السياق". وأضاف أنه "خلال الشهرين الأخيرين من اندلاع أزمة كورونا، وأثناء مفاوضات إمكانية إبرام صفقة تبادل أسرى، تواصل حماس وشركاؤها محاولة إيذاء إسرائيل في هجمات أصيب فيها ستة إسرائيليين، وكأن "محور الأعداء" لا يستريح". وأكد أنه "خلال سنوات عديدة، وقعت إسرائيل في أسر استراتيجية الدفاع، وأعمالها ومبادراتها الهجومية القليلة جزء من الموقف الدفاعي، ووقعت في مفهوم سلبي، تحت عذر الخوف من "تهور الشيطان"، مع أنه بالنسبة لنا فإن كل شيء يسير ببطء، ويتم النشاط على مراحل، وكل ذلك تعبير عن الضعف، لأنه للأسف، ليس لدينا الشجاعة للعمل بكل قوتنا في مجال العمليات الهجومية". وأشار إلى أن "الاعتقاد الإسرائيلي الخاطئ عن عدوها تسبب في فقدان قدرتها على دفع ثمن النصر، لأن ذلك لن نشتريه

بالمال، أو حتى بامتيازات على الأرض، لأن منصات إطلاق صواريخ الأعداء لن تختفي، ولن تصدأ، وإذا لم نهزمهم، ولم نمارس سيادتنا، فسندفع الثمن الغالي والمؤلم في المستقبل، وإن لم نرغب في الانجرار كي نكون مثلهم، فيجب أن نتوقف عن المساومة، لأن الإسرائيليين غير مغرمين بنيل جائزة نوبل للسلام". وختم بالقول إنه "يجب اتخاذ مبادرة هجومية تجاه أعدائنا، لاتخاذ قرار واضح بأن حرب الوجود الإسرائيلية ليس لها موعد نهائي، وفي هذه الحالة تكمن القوة المناعية في توفير "حقنة" النصر الحاسمة، إن لم يكن غدا، فسيكون في اليوم التالي". في السياق نفسه قال قائد المنطقة الشمالية بالجيش الإسرائيلي، اللواء أمير برعام: "إن (حزب الله) سيدفع ثمناً باهظاً إذا استفز إسرائيل، لافتاً إلى ان الواقع في الساحة الشمالية على جميع جبهاتها، ما زال يتغير بسرعة ويتطلب منا الجهوزية بشكل مستمر، وأن نرد عند الحاجة". وأضاف برعام، أن النشاط العسكري لحزب الله واضح، ويعرف أنه في بيروت، وفي قرى جنوب لبنان، سيدفع ثمناً باهظاً. وأشار إلى أن حزب الله، يواصل جهوده للتسلح بصواريخ أكثر دقة، وتجهيزها لضرب الجبهة الداخلية الإسرائيلية، ويواصل استعدادته جنوب نهر الليطاني. وأكد أن الجيش الإسرائيلي، سيواصل إحباط أي تهديد لأمن إسرائيل، بقدر ما هو مطلوب منع وقوع حرب، قائلاً: "إذا فرض علينا القتال، نعلم كيف نجبي الثمن من حزب الله، ومن يرعاه، ومن أسياده في الشمال الشرقي، وأيضاً من بيروت، وبالطبع من القرى الشيعية جنوب لبنان، التي تعد بمثابة ملجأ وقاعدة لعناصره". ». وبالمنطق نفسه، حدَّد رئيس معهد أبحاث الأمن القومي اللواء عاموس يادلين أن «مشروع دقة الصواريخ هو التهديد الاستراتيجي من الدرجة الأولى على إسرائيل. وإنه القضية الأكثر أهمية للمجلس الوزاري المصغر (السياسي ـ الأمني)». وبلغة ملموسة حول فعالية الصواريخ الدقيقة في المدى والدقة والقدرة التدميرية، أكد رئيس جمعية «درع للجبهة الداخلية»، إيلي بن أون، أن حزب الله يمكنه بسهولة تدمير الكنيست الإسرائيلي. لكن رئيس الوزراء السابق إيهود باراك، ذهب في تفصيل أوسع بالقول إن الصواريخ الدقيقة يمكنها تحقيق «إصابة دقيقة لأهدافٍ نوعية، بنى تحتية حيوية، أو أهداف ذات رمزية عالية... محطات طاقة، منشآت معينة داخل قواعد سلاح الجو، منشآت معينة للحكومة، مبنى وزارة الأمن وهيئة أركان الجيش، وديوان رئيس الحكومة». وتابع باراك في تعريف للصاروخ الدقيق، بأنه «الذي يسقط ضمن مدى عشرة أمتار من الهدف». في الإطار نفسه، رأى رئيس ساحة لبنان في وحدة الأبحاث في الاستخبارات العسكرية (آمان)، العقيد «ج»، أن «الصاروخ الدقيق يمكنه إصابة أي نقطة يريد إصابتها، بمستوى دقة عالٍ

جداً جداً». وأوضح ذلك بأنه «إذا أردتُ إصابة مبنى، وبدل أن أطلق الآن خمسة أو عشرة صواريخ يصيب منها المبنى واحد أو اثنان، يمكن إطلاق صاروخٍ دقيق واحدٍ وإصابة هذا المبنى». أما بن أون فاختار توضيح مزايا الصاروخ الدقيق بالقول إنه «مثل سيارة تسير وفق الـ«جي بي إس»، أو تطبيق «وايز». إنه يصيب هدفاً محدداً، هدفاً مختاراً. إنه لا يصيب عبثاً بصورة عَرَضية». من ناحية اخرى يقول الباحث في مؤسسة «الدفاع عن الديمقراطية» الأمريكية، المعروفة بتوجهاتها اليمينية الموالية لإسرائيل، ديفيد داوود، إنه: «بناء على تلك القدرات لدى الحزب، يرجح أن يضرب الحزب مئات الصواريخ على الشمال الإسرائيلي، وهو ما سيحدث اضطرابًا مماثلًا في الحياة المدنية والاقتصادية، يشبه ما حدث في حرب عام 2006، كما سيكون من الصعب على الإسرائيليين استخدام القوة الجوية أو المدفعية، فخيارهم الوحيد هو إرسال قوات إلى هذه القرى، وهنا يمتلك حزب الله ميزة المدافع».

ويضيف داوود: «لكن قوة الحزب ما تزال لا تضاهي قوة إسرائيل؛ فإسرائيل تتفوق في العمليات القصيرة والحادة والحاسمة، ولن يكون كافيًا لحزب الله تقصير الحرب التي يمكن أن تكون أكثر تدميرًا من أي مواجهة سابقة بين الجانبين، للبقاء على قيد الحياة والمطالبة بانتصار آخر». وتظهر ورقة تقدير موقف أصدرها «معهد السياسات والاستراتيجيات»، التابع لمركز «هرتسليا» الإسرائيلي متعدد المجالات، أنه: «في مواجهة الترسانة الضخمة من الصواريخ التي يملكها الحزب، ووجود صواريخ دقيقة الإصابة وذات رؤوس متفجرة كبيرة، من المهم أن تجري تهيئة الجمهور في إسرائيل لمواجهة المواصفات الجديدة للحرب المستقبلية التي ستكون مختلفة عن كل المعارك السابقة، من حيث قوة الهجمات والخسائر وسط السكان المدنيين».

وتظهر الورقة أيضًا أنه: «لو نشبت الحرب ستسعى إسرائيل قدر الإمكان إلى تقصير أمد القتال، وتقليص أضراره قدر الممكن، وليس هناك شك في أن التقدم الكبير الذي تحقق منذ 2006 على صعيد منظومة إسرائيل للدفاع الفعال، وفي طليعتها منظومة «القبة الحديدية» و«العصا السحرية»، اللذان سيوفران دفاعًا فعالًا للسكان والبنى الحيوية، لكن هذه المنظومات لا تستطيع أن توفر دفاعًا كاملًا في وجه الكميات الضخمة من الصواريخ والقذائف الصاروخية الموجودة لدى حزب الله».

وتخلص الورقة التي أعدّها الباحث الإسرائيلي شاؤول شاي إلى أنه في حال اندلاع حرب مع لبنان «ستضطر إسرائيل إلى أن تستخدم في لبنان قوة غير مسبوقة من الجو ومن البر أيضًا. وسيُطلب من الجيش الإسرائيلي

تنفيذ عملية برية واسعة النطاق من أجل توجيه ضربة أكثر فعالية إلى قدرات إطلاق الصواريخ والبنى التحتية للحزب، كي يدفع ثمنًا باهظًا لردعه عن خوض معركة أخرى في المستقبل».

وكشف المعلق العسكري في صحيفة هآرتس، عاموس هرئيل، عن الانطباع الذي تشكل في تل أبيب بشأن مزايا القدرات الإيرانية ـ بالاستناد الى استهداف منشآت «أرامكو» ـ بالقول إن «القدرات التي أظهرها الإيرانيون كانت أكبر مما تم تقديره في إسرائيل، وهو ما يفرض علينا الاستعداد لذلك». وفي الإطار نفسه، لفت قائد سلاح الجو السابق، اللواء أمير إيشل إلى أنه «توفرت لدينا فرصة للاطلاع على قدرات الإيرانيين وهم أظهروا قدرات دقيقة». أما حاليفا، رئيس شعبة العمليات، فلفت الى القدرات التدميرية التي انطوت عليها الصواريخ الإيرانية ودقّتها ومداها، مشيراً الى أن المدى الذي قطعته الصواريخ الإيرانية يعني أنه يمكن أن توجّه أيضاً باتجاه إسرائيل. وتوقف رئيس السي آي إيه، السابق، عند الضربة التي تلقّتها «أرامكو»، معتبراً أن إيران أصابت ما أرادت أن تصيبه، وأقرّ في هذا المجال بأن الاستخبارات الإيرانية كانت ممتازة. وعلى وقع هذه المزايا التي زرعت الرعب في منظومة القرار الإسرائيلي وجعلتها أكثر انكباحاً خلال الفترة الماضية، عبَّر رئيس وحدة الأبحاث في الاستخبارات العسكرية، شالوم، عن مكمن المخاوف الإسرائيلية من أداء إيران، بالقول إنها توزع هذا النوع من القدرات في كل أنحاء الشرق الأوسط.

في المقابل، كشف رئيس وحدة الأبحاث السابق في الاستخبارات العسكرية، أمان، العميد إيتي بارون (2011 – 2015)، بأنه في الأشهر الأولى من عام 2013، «دخل الى غرفتي عدد من الضباط، أغلبهم متخصصون في المجال التكنولوجي، وعرضوا علي أحداثاً تكاد تحصل، تتصل بما وصفوه أنه «مشروع دقة» الصواريخ الإيرانية، وعمليات نقل مركّبات من إيران إلى لبنان». وتابع بارون إنها كانت المرة الأولى التي أجرينا فيها نقاشاً جدياً حول مسألة أهمية «مشروع الدقة». مضيفا إنه «كان هناك حاجة للمستويين العسكري والسياسي، لشرح أبعاد تحقق قدرة هجوم دقيقة»، لافتاً الى أن ذلك يغيّر «العقيدة القتالية، وميدان القتال». وبخصوص القدرات الاعتراضية، شكك رئيس معهد أبحاث الأمن القومي، بفعالية «القبة الحديدية»، و«مقلاع داود»، مستدلاً على ذلك بأن «التاريخ يثبت بأن الدفاع دائماً يتمّ اختراقه». وعند المفهوم نفسه توقف يهوشع أيضاً، بالقول إن منظومات الاعتراض غير قادرة على حماية المنشآت الإسرائيلية. وفي هذا السياق، كان من الطبيعي أن يتمّ تناول نجاح حزب الله في بناء قدراته الصاروخية والعسكرية وتطويرها، وخاصة أنها تُظهر

فشل استراتيجية «المعركة بين الحروب» التي شنتها إسرائيل ضده. على هذه الخلفية، أتى انتقاد إيهود باراك للقيادتين السياسية والأمنية، اللتين حاولتا تقديم حرب عام 2006 على أنها أسطورة وسط الجمهور الإسرائيلي لجهة أنها حققت هدوءاً استمر أكثر من عقد. وأكد باراك أنه ليس لهذا المفهوم أي أساس، مستدلاً على موقفه بالمعادلة الحسابية الآتية: «إذا كان لدى حزب الله في نهاية عام 2016، نحو 14 ألف صاروخ، أصبح لدى حزب الله في عام 2018، 140 ألف صاروخ. وهو ما يعني وفق هذه الحسابات أن حزب الله أضاف خلال 12 سنة على ترسانته الصاروخية 120 ألف صاروخ، بمعدل تقريبي يصل الى 10 آلاف صاروخ في السنة».

في السياق نفسه، أكد مراسل الشؤون العسكرية في صحيفة يديعوت أحرونوت، يوسي يهوشع، الأمرَ ذاته، إذ قال: «لقد غفونا أثناء نوبة الحراسة»، في إشارة مباشرة إلى كون إسرائيل «لم تعالج أمر هذا الوحش الذي نشأ هنا خلف الحدود». وخلص في ضوء ذلك الى أن هناك «عقداً كاملاً ذهب هباءً... حقيقة أننا سمحنا بهذا التعاظم على مرّ السنين ولم نُحبطه، أعتقد أن هذا هو أحد أفدح الإخفاقات التي ارتكبتها دولة إسرائيل».

وقد كان لافتاً تعمّد اختتام الحلقة، بالتهديد والوعيد للبنان، عبر استهداف بنيته التحتية وتدميرها. وأوكلت هذه المهمة بشكل رئيسي الى كل من باراك وحاليفا. اختار الأول، توجيه تهديدات باستهداف المطار والمرفأ والكهرباء... أما حاليفا، رئيس شعبة العمليات، فاختار أن يُذكّر بأن قدرات الجيش الإسرائيلي التدميرية تضاعفت بما لا يُقدّر، وأنه سيفعّل هذه القدرات، «ولن تبقى ملاجئ في بيروت». ومع ذلك، يلاحظ مرة أخرى أن المسؤولين الإسرائيليين تجاهلوا بهذه التهديدات أكثر من اعتبار، كل منها كفيل بتقويض المفاعيل التي يراهنون عليها. الأول، أن حزب الله تضاعفت قدراته التدميرية في المقابل بما لا يُقاس عما كانت عليه عام 2006، وذلك بالاستناد الى تقارير إسرائيلية. والثاني، أن قدرات حزب الله الصاروخية هي قدرات ردعية ودفاعية في مواجهة أي سياسة عدوانية من النوع الذي هدَّد به باراك وحاليفا، وأثبتت فعاليتها في أكثر من محطة سابقة خلال أكثر من عقد. والثالث، أن إحدى أكبر مشكلات إسرائيل مع حزب الله هي أن رسائلها التهويلية لم تنجح في ردعه عن الرد على أيّ اعتداءات تستوجب تفعيل قدراته، ونتيجة ذلك يلتزم العدو، منذ ما بعد حرب عام 2006، بمعادلة الردع التي فرضتها قدرات حزب الله وإرادته.

في المحصلة يمكن القول ان طرح تهديد صواريخ حزب الله لا يزال موضع جدل بين الصهاينة، فهم بين مطرقة الصمت عن هذا التهديد، وبين إثارته على مستوى الرأي العام مع ما سيتركه ذلك من سلبيات كبيرة على معنويات الصهاينة ويدخلهم في حال من الهستيريا عند الحديث عن هذا التهديد.

11 – خاتمة:

إن إسرائيل اليوم تدرك أنها فقدت منذ سنوات المبادرة الإستراتيجية في المنطقة، أي أنها وبسبب عيشها "لا يقينيّة" النصر الحاسم في أي حرب مقبلة، لم تعد قادرة على فتح أي جبهة وقت تشاء، بل ان مفهوم النصر في تل أبيب قد تغيّر، وكل ذلك أدى إلى سعي إسرائيلي لإستبدال "المبادرة الإستراتيجية" بالإشغال التكتيكي. ومن هنا يسعى القادة الامنيون الإسرائيليون حالياً إلى إستغلال إشغال أعدائها في حروب جانبية وداخلية من أجل توجيه ضربات محددة إليهم تؤدي إلى إستنزافهم نوعياً، وعدم تمكينهم من مراكمة قدرات تكسر ميزان القوة ضدها في المنطقة، وهذا ما سمّته إسرائيل "المعارك بين الحروب" والتي تحطم من خلالها قواعد الإشتباك لتفرض قواعد أخرى جديدة تكون لمصلحتها. وبشكل مختصر يمكن القول ان المفهوم الأمني الجديد المعمول به حاليا في كيان العدو انما يقوم على أربعة اركان جديدة اساسية هي : الوقاية (وتعني المنع والإحباط)، والعلاقات الاستراتيجية المميزة مع الولايات المتحدة الأميركية والتحالفات الإقليمية، والتكيّف والملاءمة. وبالتالي لم يعد من الممكن الاكتفاء بالنموذج الامني التقليدي القديم الذي ارتكز، بصورة أساسية، على الردع الموجه لمنع اندلاع حرب شاملة. والمفهوم الجديد يرمي، في جوهره، إلى منع وتجنب المواجهة العنفية اولاً للمحافظة على الوضع القائم ، وفي حال الفشل في ذلك، إلى تعيين حدود المواجهة من حيث: "قواعد اللعبة"، وحيز المواجهة ومدة المواجهة. ومن هذا المنطلق نجد انه في نهاية العدوان الإسرائيلي على لبنان، صيف العام 2006، انبرى الوزير الاسرائيلي الاسبق يستحاق هرتسوغ وجزم قائلاً: إنّ حزب الله، هو "أحد أقوى الجيوش في العالم"، على حد تعبيره، أمّا وزير الأمن الأسبق أفيغدور ليبرمان، فأكّد، في مُقابلةٍ صحافيّة على أنّ حزب الله "بات الجيش الثاني في الشرق الأوسط" بعد جيش الاحتلال الإسرائيلي، لافِتًا في الوقت عينه إلى أنّه منذ انتصار الكيان في عدوان حزيران من العام 1967، والذي يُسّمى عربيًا بالـ"نكسة"، لم يعد ينتصِر جيش الاحتلال في أي معركةٍ أو حربٍ على الإطلاق، علمًا بأن العدوان الأخير الذي شنّه

كيان الاحتلال ضد قطاع غزّة في صيف العام 2014 استمر 51 يومًا، وهي أطول حربٍ خاضها الكيان منذ تأسيسه في العام 1948، وطبقًا للمصادر الأمنيّة واسعة الاطلاع في تل أبيب، التي تحدّثت لصحيفة (هآرتس) العبريّة فإن الصواريخ التي زاد عددها وتضاعف هي مصدر القوة الأساسي لحزب الله، على حد تعبيرها. وبالإضافة إلى ذلك، قالت المصادر عينها إن الأمين العام لحزب الله وسيّد المُقاومة، سماحة السيد حسن نصر الله، يؤكد في خطاباته على قدرته للوصول إلى أي بُقعة في إسرائيل. أي أن أي مكانٍ في الكيان بات في مرمى صواريخ حزب الله الدقيقة، وإضافة إلى ازدياد مدى الصواريخ التي قد تغطي أي مكانٍ في إسرائيل، شدّدت المصادر نفسها للصحيفة العبريّة، على ان الأمر المُقلق هو دقّتها، وهذه الدقّة هي التي دفعت الكيان إلى مُمارسة الضغط الدبلوماسي مع الولايات المُتحدّة الأمريكيّة، وطبعًا بمُساعدة المملكة العربيّة السعوديّة لاشتراط دعم الاقتصاد اللبناني بنزع سلاح حزب الله، الذي يُقِر قادة إسرائيل بأنّه بات يُشكِّل تهديدًا إستراتيجيًا، وربمّا وجوديًا على الدولة العبريّة، علمًا بأنّ تل أبيب دأبت على نشر تقارير مفادها أنّ الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة، أقامت مصانع للصواريخ الدقيقة في بلاد الأرز، وهو الأمر الذي نفاه حزب الله. وبحسب المصادر الأمنيّة، فصحيح أن الحديث يدور عن بضعة آلافٍ من هذه الصواريخ الدقيقة، إلّا أن هذا أمر مقلق، وطبقًا للضباط في شعبة الاستخبارات العسكريّة (أمان)، كتبت (هآرتس) العبريّة، ان حزب الله يعتمِد أيضًا على تجربته التي اكتسبها من الحرب السوريّة، لافتة إلى أنّ وجود الضبّاط الروس والإيرانيين في سوريّة ساعد في تحسين التقنيّة العسكريّة لحزب الله والعمل في أطرٍ تنفيذيّةٍ أكبر تشتمِل على التنسيق بين سلاح الجو والمدرعات والاستخبارات، على حد تعبيرهم.

واعترف مُحلل الشؤون العسكريّة في الصحيفة، نقلاً عن المصادر عينها، بأن الجيش الإسرائيلي لم ينجَح في حسم اي معركة أمام عدو يمتنِع عن القتال المباشر مُوضحًا أن هذه الأمور مُجتمعةً أثارت خيبة أملٍ كبيرةٍ لدى حكومة الكيان، ولدى الرأي العام بدولة الاحتلال ولدى الجيش نفسه. وبرأيه، انه في السنوات السابقة تعلّمت إسرائيل العديد من الأشياء حول هذه المواجهات، وهناك أسباب للقول إن الجيش الإسرائيلي سيعرف في المرة القادمة كيف يواجه التحدي بشكلٍ أفضلٍ، رغم أن صعوبة الحسم الكامل ما زالت قائمة، على حد تعبيره. وبرأي المُحلل، الذي أكد على أن تحليله اعتمد على أحاديث مع كبار الضباط، فإن حرب لبنان الثانية كانت وما زالت فشلاً مُدويًا، مُشيرًا إلى أن إيران أيضًا ساعدت في العقد الأخير بزيادة عدد الصواريخ

والقذائف لحزب الله، والتي وصل عددها إلى حوالي 150 ألفًا، بحسب التقديرات الاستخبارية الإسرائيليّة، وأضاف أنّ الصواريخ الدقيقة التي استهدفت تل أبيب وحيفا ساعدت على ردع نتنياهو الذي كان يفحص احتمالات شن هجوم على إيران.

في السياق عينه، نقل مُحلّل الشؤون العسكريّة في القناة الـ13 بالتلفزيون العبري، أور هيلر، عن مصادر عليمةٍ في جيش الاحتلال قولها إنّ مشروع الصواريخ الدقيقة بدأ في العام 2013 تحت غطاء الحرب الأهليّة في سوريّة، حيثُ باشرت إيران بنقل صواريخها الدقيقة إلى سوريّة، وكان الهدف أنْ تصِل هذه الصواريخ إلى محطّتها النهائيّة في لبنان، ولكن، استدرك المُحلّل زاعِمًا، ان إسرائيل تمكنت من القضاء على السواد الأعظم من هذه الصواريخ التي كانت تُنقَل من سوريّة إلى لبنان، ونظرًا لذلك، شدّدّ المُحلّل في مقالٍ نشره بموقع (Israel Defense) الإسرائيلي، على أنّ إيران وحزب الله قاما في العام 2016 بمُراجعة ثانيّةٍ للمشروع وتوصلا لنتيجةٍ مفادها أنّه يجب نقل عملية الإنتاج إلى لبنان لحماية الصواريخ الدقيقة من سلاح الجوّ الإسرائيليّ. وتابع أنّ أحد أسباب الهدوء على الجبهة يتعلّق بالردع المتبادل، ولكنّ إسرائيل تُدرِك كمية الأسلحة التي لدى حزب الله، وقدرته على إطلاق 1500 صاروخ وقذيفة يوميًا على الجبهة الداخليّة، وأنّه يملِك القُدرة على ضرب وإصابة المواقع الإستراتيجيّة (محطّات الطاقة، الموانى والمطارات)، وعدم قدرة أجهزة الدفاع ضدّ الصواريخ على توفير الحماية الكاملة للمواطنين، بما في ذلك (مقلاع داود). اخيراً في توصيف تهديدات الساحة اللبنانية وتناميها، ورد في كلمة رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية في الجيش الإسرائيلي، تامير هايمن، تأكيده ما يأتي: «لدى حزب الله منظومة عسكرية هي الأقوى من بين المنظومات العسكرية الأخرى التي تقارع إسرائيل، وهي تشمل قوات خاصة متموضعة على طول الحدود اللبنانية، ولديها القدرة على شن هجمات مفاجئة واحتلال أجزاء من دولة إسرائيل، إضافة الى امتلاك حزب الله كميات هائلة من الوسائل القتالية من كل الأنواع: صواريخ وقذائف صاروخية وطائرات مسيرة مفخخة، إضافة الى مقاتلين يمتهنون المهمات الدفاعية والهجومية». ومع ذلك، يؤكد هايمن بين السطور أن كل ذلك قابل نسبياً للتعايش معه في سياق الاستعداد لمواجهته، إلا ما سماه «مشروع الدقة»، وهو امتلاك حزب الله صواريخ دقيقة، سواء عبر التزود بها أو تصنيعها: «بخصوص مشروع الدقة لدى حزب الله، فهو مشغول بتحويل الصواريخ الى دقيقة بشكل يهدد أمن دولة إسرائيل، وهذا التهديد يعدّ من ناحية الأمن القومي الإسرائيلي خطيراً جداً. وهو يزعزع الاستقرار في حال استمراره، ويمكن بنسبة معينة أن يؤدي الى عملية مضادة». لكن ما هي هذه «العملية المضادة»؟ نسبة الإبهام كبيرة، وكذلك هي الحال في الإجابة عن السؤال نفسه. علماً بأن في كلام هايمن أهدافاً تهديدية تتساوى مع ما فيه من أهداف عرض جدية الموقف الإسرائيلي في مواجهة «مشروع الدقة» التي

تقول إن حزب الله يعكف على تفعيله. ويتقاطع ذلك مع ما ورد في كلمة رئيس شعبة العمليات في الجيش الإسرائيلي، أهارون حليفا، وإن كانت عباراته أكثر تنميقاً: «رد إسرائيل على الصواريخ الدقيقة (لدى حزب الله) هجومي، ولا ينبغي لنا أن نكون غافلين، فهذا التهديد موجود فعلاً ونستعد لمواجهته هجومياً ودفاعياً؛ وإذا كان تعريف هذا التهديد (الصواريخ الدقيقة) استراتيجياً، فهذا يصل بإسرائيل إلى بلورة رد استراتيجي مقابل له، يتعذّر عرضه بالكامل لأسباب يحظر تداولها. ونحن نعمل ساعات طويلة على هذا الموضوع لنوفر الأمن لشعب إسرائيل مع الحرص على تمكين الجيش الإسرائيلي من أداء وظائفه، وهو يحدث بصورة هجومية، حيث الصمت فيه أفضل». ويثير كلام حليفا جملة أسئلة: ما هو هذا الرد الاستراتيجي جداً، وفي الوقت نفسه الصامت جداً؟ وإن كان مفهوماً، ربطاً بطبيعة إسرائيل، أن تستعد لمواجهة التهديد هجومياً، لكن ما الذي يعنيه أن تستعد دفاعياً؟ وهل في كلامه نوع من الإقرار المسبق أو اللاحق بـ«تملّص» ما تقول إسرائيل إنه «مشروع دقة الصواريخ» في لبنان؟ وماذا تعني أن استراتيجية المواجهة «يحظر تداولها»، إن كانت استراتيجية رد كبيرة جداً توازي التهديد الاستراتيجي المقابل؟ والأهم، ما الذي يعنيه في تمكين الجيش من القيام بوظائفه؟

إذاً هي مواجهة صامتة غير صاخبة. هذا ما يستدل عليه من آخر المواقف الصادرة عن تل أبيب، وإن جاءت في سياقات التأكيد على تعاظم التهديدات وتناميها، وفي الساحة اللبنانية تحديداً. المعنى أنها ستكون مواجهة أمنية ـ سياسية مع الكثير من الضغوط غير المباشرة والبدائل غير الحربية، وإن كانت في ذاتها أيضاً محفوفة بالمخاطر التي لا يريد الطرفان إيصالها الى عتبة الحرب. السؤال المفترض أن يطرح على طاولة البحث، ومن شأن الإجابة عنه أن تكشف عوامل ومسببات موقف إسرائيل الذي يمنعها من المواجهة الصاخبة: ما الذي يدفع تل أبيب كي تشخص تهديداً «استراتيجياً وخطيراً جداً جداً»، ومن ثم تعتمد لمواجهته «طرقاً صامتة» وبدائل غير حربية؟ ان البدائل هي في اثارة المشاكل والانقسامات والتعقيدات الداخلية في لبنان والتحريض على حرب اهلية بالاضافة الى الضغوطات السياسية والدبلوماسية والاقتصادية على اركان الدولة اللبنانية لاغراق المقاومة في مستنقعاتها واشغالها عن جبهة التصدي للاعتداءات الاسرائيلية التي لا تتوقف مطلقا في البر والبحر والجو .